زوجات الرسول ﷺ
بين حقائق التشريع وشبهات المضللين

إعداد

الدكتور

أحمد زايد مبروك

مدرس الحديث وعلومه بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية – جامعة الأزهر

مستخلص البحث

يهدف البحث إلى دحض شبهات أعداء الإسلام حول تعدد الزوجات لسيدنا رسول الله ﷺ، وبيان أن التعدد مشروع، فهو سنة الأنبياء والرسل السابقين، فلم يكن النبي ﷺ بدعًا من الرسل في ذلك.

وأن تعدد النبي ﷺ لزوجاته الطاهرات يرجع إلى أمرين:

١- الوحي من الله تعالى، فرب العزة تبارك وتعالى اختصه بالزيادة فوق الأربع دون سائر أمته.

٢- تعدده ﷺ كان لحكم سامية إما دينية أو نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية.

وتأكيدًا لذلك فإنه ﷺ لم يتزوج في بادئ الأمر إلا ثيبًا تزوجت قبله برجلين، وكان عمره ﷺ وقت الزواج بها خمس وعشرين عامًا، وعمرها خمسون، وهي السيدة خديجة رضي الله عنها، ويوم أن ماتت كان عمره ﷺ خمسين عامًا، فلم يعدِّد إلا بعد وفاتها.

ومعلوم لدى الجميع أن الفطرة البشرية تميل إلى الرغبة في الاستزادة من الزواج عند سن خمس وثلاثين عامًا، والنبي ﷺ لم يعدِّد إلا بعد الخمسين من عمره.

إن النبي ﷺ لو كان يحب التعدد لنتج عن ذلك أمرين:

١- تزوجه بجميع نسائه أبكارًا، لكن هذا لم يحدث، فلم يتزوج بكرًا إلا السيدة عائشة رضي الله عنها، وكانت صغيرة السن، وتزوجها لغرض تعليم النسوة أمور دينهن، ولتقوية الروابط الاجتماعية بينه وبين الصديق أبي بكر ﷺ.

٢- أن يعيش عيش الملوك والسلاطين يتقلب في النعيم بين البيضاوات الشقراوات، ويأكل ما لذ وطاب من الطعام والشراب، لكن كان تعدده قائم على العيش على التمر والماء، كما جاء في جواب السيدة عائشة رضي الله عنها على ابن اختها

عروة بن الزبير ﷺ عندما قال لها ما طعامكما يا خالة؟ قالت الأسودان(التمر والماء).

إن النبي ﷺ أقل حظًّا في التعدد من اخوانه من الأنبياء والرسل، فها هو نبي الله داود عليه السلام كان له تسع وتسعون امرأة، وها هو نبي الله سليمان عليه السلام كان تحته ألف امرأة.

لذا ينبغي على أعداء الإسلام، والمشككين في السنة النبوية أن يوسعوا أفقهم، ويعودوا إلى رشدهم وصوابهم، فصاحب الحق حي ومنتصر، وصاحب الباطل زاهق وميت.

ABSTRACT

This research aims to refute the suspicions of Islam's enemies about the polygamy marriage of our Prophet, Muhammad (PBUH), and to highlight that polygamy is legitimate as It was one of the most traditions (Sunnah) of the former prophets and apostles (PBUT). As such, our Prophet (PBUH) is not an exclusion.

The research revealed that the Prophet (PBUH) has married his chaste wives for two reasons:

1- The revelation from Allah (GBTH) Who singles the Prophet Muhammad (PBUH) out to marry over than four wives, which is not the case for all Muslims.

2- Polygamy of the Prophet (PBUH) was for certain economic, social, psychological or religious reasons.

In substantiation to that, the first wife of the Prophet (PBUH) was a widow who married twice before him. At the time of that marriage, the Prophet (PBUH) was 25 years old whereas his wife, Khadija (May Allah bless her), was 50 years old. Moreover, the prophet (PBUH) was 50 years old when Khadija died and he (PBUH) did not marry other women in her life. In addition, it is known that the man nature tends to polygamy at the age of 35 but the Prophet (PBUH) married the rest of his wives after the age of fifty.

Another evidence that the Prophet (PBUH) did not like polygamy is that if he did so,

1) he would marry virgin girls not widows or divorced except for A'isha (May Allah bless her) for teaching other women things related to their religious teachings and to strengthen the social bonds between him (PBUH) and his companion, Abu Bakr (May Allah bless him).

2) he would live as kings and emperors with blonde and white women and he would eat and drink whatever his pleasure may be. However, such polygamy was based on dates and water as answered by A'isha (May Allah bless her) when she was asked by her nephew, Orwa ibn Elzobair (May Allah bless him), "What is your food, aunt?". She said, "It is only the two black ones, dates and water".

Furthermore, compared with polygamy among prophet and apostles of Allah (GBTH), our Prophet (PBUH) was the least one. For example, the Prophet Dawood (PBUH) had 99 wives and his son, the prophet Soliman (PBUH) had 1000 women. As such, those enemies of Islam and the sceptics in the Sunnah of the Prophet (PBUH) should broaden their horizons and return to their right as the right owner alive and victorious, and the false owner is dead.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله، الذي أرسله الله تعالى رحمة لجميع الناس، وآتاه الحكمة، وجوامع الكلم، وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيمًا، وعلى آله وصحبه والتابعين، ونحن معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد

فإن الله عز وجل حفظ القرآن الكريم من عبث العابثين، وكيد الكائدين، فقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}(١).

والسنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع، وهي بمثابة الشرح للقرآن الكريم، فهي المفسرةُ لمجمله، والموضحةُ لمبهمه، والمقيدةُ لمطلقه، قال تعالى﴿ **بِالبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾(٢).

ومما لا شك فيه أن سير الرجال تعظم وتشرف بعظم وشرف أصحابها، ولما كان سيدنا رسول الله ﷺ أشرف وأعظم وأفضل مخلوق على ظهر الأرض، فهو سيد ولد آدم، وفي الحديث عنه أسوة وقدوة حسنة لنا، فهو أشرف وأعظم وأجل وأنفع من عرفه التاريخ، وعُرف في الوجود.

---

(١) سورة الحجر الآية رقم (٩).

(٢) سورة النحل الآية رقم (٤٤).

قال الله تعالى:{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (١)

وقال الرسول (ﷺ): «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(٢).

وإن الله سبحانه يقيض في كل زمان وعصر من يذبُّ عن سنته (ﷺ)، ويحمي حوزة الدين من كل مبتدع ودخيل، وهم ظاهرون على الحق، قائمون بأمر الله، فهم جماعة الرحمن، فبهم تصان الشريعة، وهم أعلام الهدى ومنارات الدجى، لذا أحببت أن أكون واحدًا ممن حظي بشرف الدفاع عن شخصه وآل بيته وسنته (ﷺ)، فكان موضوع هذا البحث.

إن المنكرين والمشككين وأعداء السنة لا يعترفون بكثير من سيرة وهدي المصطفى (ﷺ)، ويحاولون إيذاءه وإيذاء زوجاته وصحابته، ولكن أنى لهم ذلك، وكان ممن قد تصدى لهم ودافع في الماضي والحاضر عن سيرة سيدنا رسول الله (ﷺ) وسنته علماء الحديث، ولا سيما المتخصصون تخصصًا أكاديميًا وهم أساتذة الحديث وعلومه في كل مكان عن طريق الرد على هؤلاء من خلال وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، ومن خلال كتابة البحوث والرسائل العلمية، وتحقيق كتب التراث التي تناولت سيرة المصطفى (ﷺ).

وسنحاول في هذا البحث أن نقف على شبهات المشككين حول تعدد الزوجات لسيدنا رسول الله، التي يحاولون من ورائها الإلباس على الناس بأن سيدنا محمدًا (ﷺ) كان

---

(١) سورة الأحزاب الآية رقم (٢١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الفضائل، بَابُ تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ (٤/ ١٧٨٢) ح (٢٢٧٨).

محبًا للشهوة وللنساء، ومن ثم نتج عن ذلك أنه أصبح مزواجًا، وتزوج بأكثر من امرأة.

لقد هاجم أعداء الإسلام شخصية النبي (ﷺ) بأسلوب متصف بالوقاحة وعدم الموضوعية، ووجهوا لشخصه الشريف، وسنته الطاهرة التهمة تلو التهمة، فزعموا أنه كان والعياذ بالله رجلاً شهوانياً وأنانياً، ومن أهل الدنيا، وكان يفتقر إلى النقاء الروحي فضلاً عن النبوة والرسالة.

لقد زعم أعداء الإسلام أن الرسول (ﷺ) عدد زوجاته لإشباع رغباته – وللأسف هذه المزاعم والشبهات تنطلي على كثير من المسلمين الذين لا دراية لهم بحياة النبي (ﷺ) وسنته، وهم اليوم كثير– وهذا ليس بصحيح، فسيتضح الأمر عندما نذكر الظروف والملابسات التي أدت إلى كل زيجة من زيجات النبي (ﷺ)، ومنها يمكن أن يرد على أولئك الأعداء فيما يزعمون من جهة، ومن جهة أخرى لو أن الرسول (ﷺ) كما يزعمون لما ظل وفيا لخديجة –رضي الله عنها– التي كانت قد بلغت الخامسة والستين من العمر وهو ما يزال في الخمسين من عمره، فكيف يقنع بامرأة متقدمة في السن تكبره خمس عشرة سنة ولا يختار امرأة أخرى حتى توفيت وهي في الخامسة والستين من عمرها، فهل يمكن لرجل شهواني أن يصبر على شهوته إلى هذا الحد حتى يهرم، ويصير شيخًا كبيراً؟.

ثم ماذا بعد وفاة خديجة ؟

لقد تزوج نسائه مراعاة للمصالح الإنسانية فها هي الزوجة الثانية سودة –رضي الله عنها– عمرها (٥٥) عامًا وقت الزواج، وكانت السيدة زينب بنت خزيمة عمرها (٦٥) عامًا، وكانت السيدة أم سلمة – رضي الله عنها – عمرها حوالي (٦٠) عامًا.

فما رأي الأفاكين والمغرضين من المستشرقين في زواج الرسول (ﷺ) بهؤلاء النسوة؟، هل تمت هذه الزيجات بدافع الأنانية كما يزعمون أو هو منتهى الإيثار والتضحية وتكريم الإنسانية؟.

وإن شاء الله ندحض هذه الشبه بالحجج والأدلة والبراهين، ونبرز الهدف الأسمى من تعدد النبي (ﷺ) لزوجاته الطاهرات رضي الله عنهن أجمعين، من خلال هذا البحث الذي أسميته" زوجات الرسول (ﷺ) بين حقائق التشريع وشبهات المضللين".

خطة البحث

خطة البحث عبارة عن مقدمة وتسعة مطالب وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.

المطلب الأول: شبهة إنه (ﷺ) جمع بين أكثر من عشرة نسوة، وحرَّم على المسلمين أن يجمعوا بين أكثر من أربع نسوة، وهو بهذا قد استحل لنفسه ما حرّمه على غيره، والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة إنه (ﷺ) كان ينكح كل من وهبته نفسها من غير تقيد بعدد، والرد عليها.

المطلب الثالث: شبهة إنه (ﷺ) أباح لنفسه السراري دون تقيد بعدد، والرد عليها.

المطلب الرابع: شبهة إنه (ﷺ) أبالح لنفسه الزواج بلا مهر ولا شهود ولا ولي، واعتبر زواج المسلم بدون هذه الأمور الثلاثة زواجًا فاسدًا، والرد عليها.

المطلب الخامس: شبهة إنه (ﷺ) كان شهوانيًا مزواجًا محبًا للنساء، وأنه كان شديد الميل لهن، والولع بهن، ومن ثم تزوج بأكثر من زوجة، والرد عليها.

المطلب السادس: ثبوت تعدد الزوجات في اليهودية.

المطلب السابع: ثبوت تعدد الزوجات في النصرانية.

المطلب الثامن: حكمة تعدد النبي (ﷺ) لزوجاته الطاهرات رضي الله عنهن.

المطلب التاسع: فوائد وأغراض تعدد الزوجات لسيدنا رسول الله (ﷺ).

الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات.

وفيما يلي التفصيل

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.

تكمن أهمية هذا الموضوع، وأسباب اختياره إلى ما يلي:

١- الدفاع عن شخص النبي (ﷺ) وسنته الطاهرة، وزوجاته الطاهرات رضي الله عنهن.

٢- بيان أن هدف أعداء الإسلام قلب الحقائق، والتلبيس على الناس، فإنهم إذا وقعوا على ما يرضي أحقادهم، ويشفي غليلهم، هلّلوا له وطبّلوا، وتجاهلوا الشرائع وأحكامها، وعدم احترام العادات والأعراف والتقاليد، وسموا الأشياء بغير مسمياتها، إلى غير ذلك مما يتكلمون به باسم العلم وحقوق المرأة، واعتبار المدنية المزيفة، والحضارة الغربية تقدم ونهوض للشعوب، ولم يعيروا نقد الأسانيد ومتونها أية أهمية، بينما يعبثون كثيرًا في الحكم على روايات في غاية الصحة بأنها موضوعة، وليس لها أساس، ولا حامل لهم في الحالين إلا الهوى والتعصب، والحقد الدفين للإسلام، والتجني عليه، وعلي كل من ينتمي إليه.

٣- وضوح الأمر أمام القارئ بأن النبي (ﷺ) لم يُصب بالشذوذ، بل إنه كان يتسم بكل خصال الشباب الأسوياء، فلذا تزوج، فلو لم يتزوج لقال أعداء الإسلام

بأنه (ﷺ) أصيب بالشذوذ، وتلك هي طبيعتهم كما حكى القرآن الكريم عنهم " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم "(١).

٤- وضوح الحقيقة أمام القارئ الفطن، وجزمه ويقينه بأن ساحة الرسول الكريم (ﷺ) بريئة من كل ما زعموا، وأنه ليس بعد الحق إلا الضلال فأنى يؤفكون؟

٥- تعدد الزوجات وُجد في جميع الشرائع السابقة، وكان مألوفًا لدى جميع الأنبياء والرسل وأممهم، فمن خلال هذا البحث سيتضح بما لا يدع مجالاً للشك لدى كل عاقل منصف أن تعدد النبي (ﷺ) لم يكن النبي (ﷺ) فيه بدعًا من الرسل، بل هو تشريع من الله تعالى، وكان لغايات سامية، وأغراض إنسانية، يكمن من خلالها محبة الإسلام ورسوله (ﷺ)، لكن أعداء الدين يتناسون التعدد الموجود في سائر الشرائع، ويحاولون بأي وسيلة إلصاق التهم بالإسلام في شخص رسول الإسلام (ﷺ)، وصدق ربنا إذ يقول في سورة الأنعام في الآية (٣٣): {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}.

(١) سورة البقرة الآية (١٢٠).

المطلب الأول

شبهة إنه (ﷺ) جمع بين أكثر من عشرة نسوة، وحرَّم على المسلمين أن يجمعوا بين أكثر من أربع نسوة، وهو بهذا قد استحل لنفسه ما حرّمه على غيره، والرد عليها.

قال المستشرقون والمشككون وأعداء الإسلام إن رسولنا(ﷺ) جمع بين أكثر من عشرة نسوة، وحرّم على المسلمين أن يجمعوا بين أكثر من أربع نسوة.

الرد على ذلك:

- **قولهم:** إنه جمع بين أكثر من عشرة نسوة، وحرّم على المسلمين أن يجمعوا بين أكثر من أربع نسوة، وهو بهذا قد استحل لنفسه ما حرمه على غيره.

الجواب على ذلك: هذا خطأ، لأن عندما أمر المسلمين بعدم الزيادة على أربع نسوة فهو مبلغ عن ربه في ذلك، وجمعه بين أكثر من عشرة نسوة فقد اختصه الله تعالى بذلك، فلا يجوز ذلك لأحد غيره.

وصدق الله تعالى إذ يقول في شأنه (ﷺ):

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾(١).

إن النبي (ﷺ) لا ينطق عن الهوى، وإنما نطقه تشريع بوحي من الله بعدم زيادة أي مسلم عن أربع زوجات.

---

(١) سورة النجم الآيتان(٣-٤).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أسلم غيلان الثقفي، وعنده عشر نسوة، فقال رسول الله (ﷺ): «أمسك أربعًا، وفارق سآئرهن»(١).

وعن قيس بن الحارث ﷺ قال: أسلمت وعندي ثمان نسوة، فذكرت ذلك للنبي (ﷺ)، فقال النبي (ﷺ): «اختر منهن أربعًا»(٢).

لقد استدل مثيرو هذه الشبهة بهذه الأحاديث التي يأمر النبي (ﷺ) فيها أصحابه بأن لا يزيدوا على أربع زوجات، في مقابل ما شاع عنه صلى الله عليه وسلم من أنه تزوج أكثر من أربع زوجات، على أنه كان مزواجًا محبًا للنساء، والذي أوقعهم في هذا الزعم الخاطئ جهلهم بالخصائص التي اختص الله تعالى بها نبيه (ﷺ) دون سائر البشر، والتي منها: الزيادة على أربع زوجات.

والناظر لهذا الأمر بعين الاعتبار يري أمرين أساسيين:

١- إنه ربما كان النبي (ﷺ) أقل حظًا في التعدد من سائر البشر، لأن الله تعالى رخص للنبي صلى الله عليه وسلم زواج عدد معين من النساء، ثم بعد ذلك أمره بعدم الزيادة على ذلك، وعدم استبدالهن بأخريات، أما غيره من أمته فله أن يتزوج ضعف أو أضعاف هذا العدد، شريطة ألا يزيد عن أربع في وقت واحد، فجعل الله تعالى بإمكان أي مسلم أن يعدد أكثر من سيدنا محمد (ﷺ)، على الرغم من وجوب اقتصار المسلم العادي على أربع زوجات، وذلك أنه يستطيع تطليقهن جميعًا، والبناء بزوجات جديدات مكانهن.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب النكاح، باب الرجل يسلم وعنده عشرة نسوة (٣/ ٤٢٧) ح(١١٢٨)، وسكت عنه، وأخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب النكاح، باب نكاح الكفار(٩/ ٤٦٥) ح (٤١٥٧)،(٤١٥٨)، واللفظ لابن حبان.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الطلاق ، باب في من أسلم وعنده نساء أكثر من أربع أو أختان (٢/ ٢٧٢) ح(٢٢٤١).

قال تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾(١).

٢- لو أن الحكم العام شمله (ﷺ) بعدم الزيادة عن أربع، فأمسك أربعًا، وسرّح بقية نساءه كما فعل مع من دخل في الإسلام، لأدى ذلك إلى إلحاق الضرر بزوجاته الطاهرات، ولصرن معلقات، لأنهن زوجات سيدنا محمد (ﷺ)، وأمهات المؤمنين، ويحرم على أي مسلم أن يتزوج إحداهن بعد سيدنا رسول الله (ﷺ) إكرامًا وإجلالاً لمقامه الرفيع.

قال تعالى:{وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا} (٢).

المطلب الثاني

شبهة إنه (ﷺ) كان ينكح كل من وهبته نفسها من غير تقيد بعدد، والرد عليها.

قولهم: إنه (ﷺ) كان ينكح كل من وهبته نفسها، من غير تقيد بعدد.

الرد على ذلك: هذا خطأ، والصواب أن الزواج عن طريق الهبة أمر خاص به (ﷺ)، وأن الواهبات أنفسهن للنبي (ﷺ) أربع من النسوة فقط هن: أم شريك، وخولة بنت حكيم، وليلى بنت الحطيم، وفاطمة بنت شريح، ولم يدخل بهن رسول الله (ﷺ).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يكن عند النبي (ﷺ)أحد ممن وهبت نفسها له(٣).

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان(٥٢).
(٢) سورة الأحزاب الآية(٥٣).
(٣) فتح الباري لابن حجر (١/ ٣١٥).

المطلب الثالث

شبهة إنه (ﷺ)أباح لنفسه السراري دون تقيد بعدد، والرد عليها.

– **قولهم:** إنه (ﷺ) أباح لنفسه السراري دون تقيد بعدد.

الرد على ذلك: لم يكن (ﷺ) تحته من السراري سوى اثنتان: مارية القبطية، وريحانة النضيرية، ولم يكن رسول الله (ﷺ) بدعًا من البشر في تسريه، وذلك لأن التسري أمر موجود منذ إبراهيم عليه السلام، وجميع أنبياء بني اسرائيل قد اتخذوا السراري.

فقد ورد أن ابراهيم عليه السلام تسرى بهاجر عليها السلام، فولدت له إسماعيل عليه السلام.

قال أهل الكتاب: إن إبراهيم عليه السلام سأل الله ذرية طيبة، وأن الله بشره بذلك، وأنه لما كان لإبراهيم ببلاد بيت المقدس عشر سنين، قالت سارة لإبراهيم عليه السلام: إن الرب قد أحرمني الولد، فادخل على أمتي هذه لعل الله يرزقنا منها ولدا. فلما وهبتها له دخل بها إبراهيم عليه السلام فحين دخل بها حملت منه. قالوا: فلما حملت ارتفعت نفسها وتعاظمت على سيدتها، فغارت منها سارة فشكت ذلك إلى إبراهيم، فقال لها: افعلي بها ما شئت. فخافت هاجر فهربت فنزلت عند عين هناك، فقال لها ملك من الملائكة: لا تخافي فإن الله جاعل من هذا الغلام الذي حملت خيرا. وأمرها بالرجوع، وبشرها أنها ستلد ابنا وتسميه إسماعيل، ويكون وحش الناس، يده على الكل، ويد الكل به، ويملك جميع بلاد إخوته، فشكرت الله عز وجل على ذلك.

وهذه البشارة إنما انطبقت على ولده محمد (ﷺ)، فإنه الذي سادت به العرب، وملكت جميع البلاد غربا وشرقا، وأتاها الله من العلم النافع والعمل الصالح ما لم يؤت أمة

من الأمم قبلهم، وما ذاك إلا بشرف رسولها على سائر الرسل وبركة رسالته ويمن بشارته وكماله فيما جاء به. وعموم بعثته لجميع أهل الأرض(١).

وقد ذكر غير واحد من السلف، أنه كانت لسليمان من النساء ألف امرأة ؛ سبعمائة بمهور، وثلاثمائة سراري. وقيل بالعكس: ثلاثمائة حرائر وسبعمائة من الإماء(٢).

والتسري جائز في الإسلام، فقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة، فقال تعالى:{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} (٣).

وبناءً على ذلك تسرى النبي (ﷺ) باثنتين، هما:

١- مارية القبطية، أهداها له المُقوقِس، فأولدها ابنه إبراهيم الذي توفي صغيراً بالمدينة في حياته (ﷺ)، في ٢٨/أو ٢٩ من شهر شوال سنة ١٠ هـ وافق ٢٧ يناير سنة ٦٣٢ م(٤).

روى ابن سعد في طبقاته عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال: بعث المقوقس صاحب الإسكندرية إلى رسول الله (ﷺ) في سنة سبع من الهجرة بمارية وبأختها سيرين وألف مثقال ذهبًا، وعشرين ثوبًا ليناً، وبغلته الدلدل، وحماره يعفور، ومعهم خصي يقال له. مابور شيخ كبير كان أخا مارية، وبعث بذلك كله مع حاطب بن أبي بلتعة، فعرض حاطب بن أبي بلتعة على مارية الإسلام، ورغبها فيه، فأسلمت وأسلمت أختها، وأقام الخصي على دينه حتى أسلم بالمدينة بعد في

(١) البداية والنهاية (١/ ٣٥٤).
(٢) البداية والنهاية (٢/ ٣٤٨)
(٣) سورة المعارج الآيات من (٢٩-٣١).
(٤) الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية (٣/ ١٢٦١).

عهد رسول الله (ﷺ)، وكان رسول الله (ﷺ) معجبًا بأم إبراهيم، وكانت بيضاء جميلة، فأنزلها رسول الله (ﷺ) في العالية، في المال الذي يقال له اليوم مشربة أم إبراهيم[١]، وكان رسول الله يختلف إليها هناك، وضرب عليها الحجاب، وكان يطأها بملك اليمين، فلما حملت وضعت هناك، وقبلتها سلمى مولاة رسول الله (ﷺ)، فجاء أبو رافع زوج سلمى فبشر رسول الله (ﷺ) بإبراهيم فوهب له عبدًا.

وذلك في ذي الحجة سنة ثمان، وتنافست الأنصار في إبراهيم، وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبي (ﷺ) لما يعلمون من هواه فيها. (ﷺ)[٢].

وأخرج ابن سعد عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، وذلك أنها كانت جميلة من النساء جعدة، وأعجب بها رسول الله (ﷺ)، وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت لحارثة بن النعمان، فكانت جارتنا، فكان رسول الله (ﷺ) عامة النهار والليل عندها، حتى فرغنا لها، فجزعت، فحولها إلى العالية، فكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا، ثم رزق الله منها الولد، وحرمنا منه[٣].

٢- ريحانة بنت زيد النضرية أو القُرظية، كانت من سبايا قريظة فاصطفاها لنفسه، وكانت ريحانة بنت زيد من بني النضير متزوجة رجلاً منهم يقال له الحكم،

---

(١) مشربة أم إبراهيم: هي التي اعتزل فيها رسول الله (ﷺ) ، لما آلى من نسائه شهرًا ، وهي عليّة- أي: غرفة تعلو الغرفة السفلى- والظاهر أنها كانت عند بيوت زوجات الرسول (ﷺ) ، وسمّيت «مشربة أم إبراهيم» لأن أم إبراهيم من رسول الله (ﷺ) ولدته فيها، وتعلقت حين ضربها المخاض بخشبة من خشب تلك المشربة، فتلك الخشبة اليوم معروفة في المشربة. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ١٥٧)، (ص: ٢٧٤).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ١٧٠).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ١٧١).

فلما وقع السبي على بني قريظة سباها رسول الله (ﷺ) فأعتقها وتزوجها وماتت عنده.

روى ابن سعد عن عمر بن الحكم قال: أعتق رسول الله ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة، وكانت عند زوج لها محب لها مكرم، فقالت: لا أستخلف بعده أبدًا، وكانت ذات جمال، فلما سبيت بنو قريظة عرض السبي على رسول الله (ﷺ)، فكنت فيمن عرض عليه، فأمر بي فعزلت، وكان يكون له صفي من كل غنيمة، فلما عزلت خار الله لي فأرسل بي إلى منزل أم المنذر بنت قيس أياما حتى قتل الأسرى وفرق السبي، ثم دخل علي رسول الله (ﷺ) فتحييت منه حياء، فدعاني فأجلسني بين يديه، [فقال: إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله(ﷺ) لنفسه]، فقلت: إني أختار الله ورسوله، فلما أسلمت أعتقني رسول الله (ﷺ)، وتزوجني، وأصدقني اثنتي عشرة أوقية ونشًا، كما كان يصدق نساءه، وأعرس بي في بيت أم المنذر، وكان يقسم لي كما كان يقسم لنسائه، وضرب علي الحجاب، وكان رسول الله (ﷺ) معجبا بها، وكانت لا تسأله إلا أعطاها ذلك، ولقد قيل لها: لو كنت سألت رسول الله (ﷺ) بني قريظة لأعتقهم، وكانت تقول: لم يخل بي حتى فرق السبي، ولقد كان يخلو بها ويستكثر منها، فلم تزل عنده حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع فدفنها بالبقيع، وكان تزويجه إياها في المحرم سنة ست من الهجرة(١).

وكانت رضي الله عنها رقيقة القلب، لديها إحساس مرهف، وذوق رفيع، سريعة البكاء.

روى ابن سعد عن صالح بن جعفر عن محمد بن كعب قال: كانت ريحانة مما أفاء الله عليه فكانت امرأة جميلة وسيمة، فلما قتل زوجها وقعت في السبي فكانت صفي رسول الله (ﷺ) يوم بني قريظة، فخيرها رسول الله(ﷺ) بين الإسلام وبين دينها

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ١٠٣).

فاختارت الإسلام، فأعتقها رسول الله (ﷺ)، وتزوجها، وضرب عليها الحجاب، فغارت عليه غيرة شديدة فطلقها تطليقة، وهي في موضعها لم تبرح، فشق عليها، وأكثرت البكاء، فدخل عليها رسول الله (ﷺ) وهي على تلك الحال فراجعها، فكانت عنده حتى ماتت عنده، قبل أن توفي (ﷺ)[1].

قلت: اختلف في ريحانة بنت زيد النضرية هل هي من السراري أو الزوجات، والراجح أنها زوجة من زوجات النبي (ﷺ)، فقد أخرج الواقدي حديثين، أحدهما: يؤكد أنها ملك يمين، وثانيهما: يؤكد أنها زوجة، ورجّح أنها زوجة.

روى الواقدي عن أيوب بن بشير المعاوي، قال: أرسل بها – ريحانة بنت زيد – رسول الله (ﷺ) إلى بيت سلمى بنت قيس أم المنذر، وكانت عندها حتى حاضت حيضة، ثم طهرت من حيضها، فجاءت أم المنذر فأخبرت النبي (ﷺ)، فجاءها رسول الله (ﷺ) في منزل أم المنذر، فقال لها رسول الله (ﷺ): إن أحببت أعتقك، وأتزوجك فعلت، وإن أحببت أن تكوني في ملكي أطؤك بالملك فعلت.

فقالت: يا رسول الله، إنه أخف عليك، وعليَّ أن أكون في ملكك، فكانت في ملك النبي (ﷺ) يطؤها حتى ماتت عنده[2].

وروى الواقدي وابن سعد عن ابن أبي ذئب قال: سألت الزهري عن ريحانة فقال: كانت أمة لرسول الله (ﷺ) فأعتقها وتزوجها، وكانت تحتجب في أهلها، وتقول: لا يراني أحد بعد رسول الله (ﷺ). فهذا أثبت الحديثين عندنا، وهو أثبت الأقاويل عندنا، وهو الأمر عند أهل العلم[3].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ١٠٢).

(٢) أخرجه الواقدي في المغازي (٢/ ٥٢٠)

(٣) أخرجه الواقدي في المغازي (٢/ ٥٢٠) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ١٠٣).

ومات رسول الله (ﷺ)عن تسع من هؤلاء، وهن: سودة، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وجويرية، وزينب بنت جحش، وأم حبيبة، وصفية، وميمونة، وكل واحدة من هؤلاء اتفق النقلة على أن النبي (ﷺ) تزوجها، وبنى بها، واتفقوا على أنه مات عن التسع المذكورات، واختلفوا في التقديم والتأخير، وذلك اختلاف لا يضر، واجتمع عنده جميع المذكورات سوى خديجة، فإنها ماتت ولم يتزوج معها غيرها أهـ(١).

قال سعيد حوى: وزاد البعض اثنتين أخريين من ملك اليمين، جميلة أصابها في بعض السبي، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش(٢).

المطلب الرابع

شبهة إنه (ﷺ) أبالح لنفسه الزواج بلا مهر ولا شهود ولا ولي، واعتبر زواج المسلم بدون هذه الأمور الثلاثة زواجًا فاسدًا، والرد عليها.

- **قولهم:** إنه (ﷺ) أباح لنفسه الزواج بلا مهر ولا شهود ولا ولي، واعتبر زواج المسلم بدون هذه الأمور الثلاثة زواجًا فاسدًا.

الرد على ذلك: زواجه (ﷺ) بدون مهر وشهود وولي أمر اختصه الله تعالى به، فلا يجوز لغيره ذلك، مثل زواج الهبة (بدون مهر)، والزواج من غير ولي ولا شهود ولا عقد، والزيادة في التعدد على أربع زوجات.

قال السيوطي في باب اختصاصه (ﷺ) بجواز النكاح بغير ولي وشهود: قال العلماء: إنما اعتبر الولي في نكاح الأمة للمحافظة على الكفاءة، وهو (ﷺ) فوق الأكفاء، وإنما اعتبر الشهود، لا من الجحود وهو (ﷺ) لا يجحد، ولو جحدت هي، لم يرجع إلى قولها على خلاف قوله، بل قال العراقي في شرح المهذب: تكون كافرة بتكذيبه،

(١) الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية (٣/ ١٢٦١).
(٢) الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية (٣/ ١٢٦١).

وكان له (ﷺ) تزويج المرأة من نفسه، وتولي الطرفين بغير إذنها وإذن وليها لقوله تعالى:{ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا } (١).

ثم قال السيوطي: باب المرأة تحل له بغير عقد، ومن خصائصه أن المرأة كانت تحل له بتحليل الله تعالى فيدخل عليها بغير عقد(٢).

المطلب الخامس

شبهة إنه (ﷺ) كان شهوانيًا مزواجًا محبًا للنساء، وأنه كان شديد الميل لهن، والولع بهن، ومن ثم تزوج بأكثر من زوجة، والرد عليها.

- **قولهم:** إنه (ﷺ) كان شهوانيًا مزواجًا محبًا للنساء، وأنه كان شديد الميل لهن، والولع بهن، ومن ثم تزوج بأكثر من زوجة.

الرد على ذلك: نقول: هذا الكلام فيه نظر، لعدة أمور:

١- إن النبي (ﷺ) بدعًا من الرسل في تعدد زوجاته، فأمر تعدد الزوجات معهود ومشروع في أغلب الأديان السابقة كاليهودية والنصرانية، وفقد تزوج إبراهيم وإسحاق وداود وسليمان – مثلاً- بأكثر من زوجة.

ولا بد أن نقرر أن الأديان السماوية قبل إبراهيم – عليه السلام- ليس لها كتب معروفة تؤخذ منها تشريعات الأسرة، والذي حكاه القرآن الكريم عنها هو المرجع الصادق لها، وإلى جانبه النصوص الدينية الأخرى، وكتب التاريخ، ولا يوجد في هذه المصادر ما يدل على أن التعدد كان ممنوعًا في

(١) سورة الأحزاب آية ٦ .

(٢) الخصائص الكبرى (٢/ ٤٢٧).

هذه الأديان، ويهمنا أن نعرف ما جاء في الديانتين الكبيرتين اللتين نزلت بهما الكتب السماوية بعد إبراهيم – عليه السلام– وهما اليهودية والنصرانية.

وإن كان الاستدلال بما في التوراة والإنجيل الموجودين الآن غير معتبر، وذلك لتحريفهما بشهادة القرآن الكريم، إلا إننا سنحكي ما ورد فيهما خاصًا بالتعدد، مع العلم بأن القرآن الكريم نزل مهيمنًا عليهما في أخبارهما ومضامينهما التشريعية خاصة.

وإبراهيم عليه السلام – وهو قبل التوراة والإنجيل – كان متزوجًا من سارة، ولما لم يرزق منها بذرية، تزوج هاجر المصرية التي أُهديت لسارة، فرزق منها بإسماعيل، ثم رزق من سارة بإسحاق، فهو قد جمع بين اثنتين في عصمته، بصرف النظر عن كون إحداهما وهي سارة زوجة، والأخرى هاجر سرية على الخلاف الذي ذكره ابن كثير في ذلك(١).

وقد كانت له –إبراهيم عليه السلام – أيضًا سراري كثيرة، والدليل على ذلك ما ورد في التوراة في سفر التكوين (٢٥/٦):

" وأما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقًا إلى أرض المشرق، وهو بعد حي"(٢).

وجاء في التوراة أيضًا أن إسحاق بن إبراهيم – عليهما السلام– ولد له اثنان، هما: عيصو، ويعقوب –عليه السلام – وأن عيصو جمع بين خمس زوجات،

---

(١) البداية والنهاية (١/ ٣٥٤) وما بعدها ، وموسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ، للشيخ/ عطية صقر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، الجزء ٦، ص٤٠.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ، للمؤلف د/ محمود حمدي زقزوق ، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، ص٥٣٨.

هن: يهوديت، بسمة، محلة، عدا، أهوليانة، وأن يعقوب جمع بين أربع زوجات هن: ليئة، راحيل شقيقتها، بلهة، زلفة [١].

وهذا التشريع كان في صحف إبراهيم – عليه السلام– قبل نزول التوراة على موسى – عليه السلام–، وكان من عادتهم أن الزوجة تسمح لزوجها بمعاشرة الجواري، وتلحق أولاده منهن بها، وهذه العادة كانت شائعة في الزمن القديم عند إسبرطة اليونانية[٢].

٢- ميول الشباب دائمًا إلى زواج الأبكار، لكن النبي (ﷺ) في ريعان شبابه في الخامسة والعشرين من عمره تزوج بالسيدة خديجة وهي ثيب، تزوجت قبله برجلين كما قال ابن كثير وابن عساكر رحمهما الله تعالى، وهما: عتيق بن عائذ التميمي، وخلفه هند بن زرارة والمعروف بأبي هالة التميمي، وكان عمر السيدة خديجة عند زواجها من الرسول (ﷺ) أربعين عامًا، وكان الزواج قبل البعثة بخمس عشرة سنة[٣].

٣- العمر الطبيعي الذي تتحرك فيه الشهوة بغزارة عند الرجال هو ما بين العشرين إلى الخمسين، فيميلون للاستزادة من النساء من خلال تعدد الزوجات، لكنه (ﷺ) لم يفكر في التعدد في هذا السن، ولم يُعدد إلا بعد الخمسين من عمره، بعد موت خديجة رضي الله عنها، وهي الوحيدة التي ظلت معه في سن الشباب، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وماتت قبل الهجرة إلى المدينة، وقبل فرض الصلاة بخمس سنين، ويوم موتها كان عمره ثامن وأربعون عامًا، وكان

(١) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام(٦/٤٠).
(٢) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام(٦/٤٠).
(٣) السيرة النبوية لابن كثير (٤/ ٥٨٢)، كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين (ص: ٣٩).

بإمكانه أن يكثر من النساء والإماء لأنهن كُثر، خاصة وأن هذا كله قبل البعثة فلا يوجد تقيد بعدد سواء من الحرائر أو الإماء.

٤- عند بلوغه (ﷺ) سن الثامن والأربعين ماتت السيدة خديجة رضي الله عنها، ومكث إلى أن وصل سنه ثلاث وخمسون عامًا لم يتزوج، أي عاش بدون زوجة حوالي خمس سنوات، فلو كان عنده حب الشهوة وجموح العاطفة ما جلس سنة بدون زواج فضلاً عن جلوسه خمس سنوات(١).

٥- أن زواج النبي (ﷺ) بهذا العدد من النساء كان جبرًا لخاطرهن، ومراعاة لحالهن، والوقوف بجوارهن من الناحية النفسية والاجتماعية والمادية، فكان زواج النبي (ﷺ) من كل واحدة منهن مصلحة تعود عليها في الدنيا، وتعود بالنفع في الآخرة على الرسول (ﷺ)، ومن يُطالع زواجه من سودة أو صفية أو جويرية أو أم سلمة يعرف ذلك جيدًا.

٤- أن النبي (ﷺ) لم يتزوج بكرًا سوى السيدة عائشة وهي بنت تسع سنين، وهذا السن في عُرف النساء تُعد من خلاله صغيرة، لكن عيشها في جزيرة العرب يجعلها مكتملة من ناحية الأنوثة، لكن ليست كالكبيرة التي وصلت إلى مرحلة الشباب.

فمثلاً: لو قلت لشاب الآن تتزوج بفتاة في المرحلة الابتدائية أم المرحلة الإعدادية لاختار الإعدادية، ولو خيرته بين فتاة في المرحلة الإعدادية وأخرى في المرحلة الثانوية لاختار فتاة المرحلة الثانوية، ولو خيرته بين فتاة في المرحلة الثانوية وأخري في المرحلة الجامعية، لاختار فتاة المرحلة الجامعية، فالسيدة عائشة في عُرف النساء تُعد صغيرة لكن ليست قاصرة كما يدعي أعداء الإسلام.

---

(١) تعدد الزوجات بين حقائق التنزيل وافتراءات التضليل (ص: ٤٧).

٦- حب النساء ليس عيبًا طالما أنه يتم بطريقة شرعية من خلال الزواج.

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله (ﷺ): «حبب إلي من الدنيا النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة»(١).

قال السنديّ: قيل: إنما حُبّب إليه النساء لينقلن عنه ما لا يطّلع عليه الرجال من أحواله، ويُستحيا من ذكره، وقيل: حُبّب إليه زيادة في الابتلاء في حقّه حتى لا يلهو بما حُبّب إليه من النساء عما كُلّف به من أداء الرسالة، فيكون ذلك أكثر لمشاقّه، وأعظم لأجره، وقيل: لتكون خلواته مع ما يُشاهدها من نسائه، فيزول عنه ما يرميه به المشركون من أنه ساحرٌ، أو شاعر فيكون تحبيبهنّ إليه على وجه اللطف به، وفي هذا الحديث إشارة إلى وفائه (ﷺ) بأصلي الدين، وهما: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، وهما كمالا قوتيه النظرية والعملية، فإن كمال الأولى بمعرفة الله، والتعظيم دليل عليها، لأنه لا يتحقق بدونها، والصلاة لكونها مناجاة الله تعالى على ما قال (ﷺ) المصلي يناجي ربه نتيجة التعظيم على ما يلوح من أركانها ووظائفها، وكمال الثانية في الشفقة وحسن المعاملة مع الخلق، وأولى الخلق بالشفقة بالنسبة إلى كل واحد من الناس نفسه وبدنه، وفيه: مشروعيّة حبّ النساء، وأنه لا ينافي مقام النبوّة، وفيه: ما كان عليه النبيّ (ﷺ) من قوّة محبّته للّه -عَزَّ وَجَلَّ- حيث لم يؤثر فيه حبّه للنّساء، بل ازداد به القرب من اللّه تعالى والزلفى، وفيه: أنه يدلّ على أن محبّته (ﷺ) للنساء والطيب ليس من جنس المحبّة المجرّدة الشهويّة، كسائر عامة الناس، بل لكونه طريقًا لنشر الشريعة التي لا تُنقل من طرق الرجال، بل من طرق الأزواج اللاتي يلازمنه في نومه، ويقظته، وأكله وشربه، وسائر

(١) أخرجه النسائي في سننه في كتاب عشرة النساء، باب حب النساء (٧/ ٦١) ح(٣٩٣٩)،(٣٩٤٠)، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب النكاح(٢/ ١٧٤) ح(٢٦٧٦)، وقال عقبه: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.

أحواله التي يكون عليها من حين يدخل بيته إلى أن يخرج منه، وفيه: بيان أن محبّة النساء، وسائر ملاذّ الدنيا إذا لم يؤدّ إلى الإخلال بأداء حقوق العبوديّة لا يكون نقصًا.

ونقول: لو أن هؤلاء المكيدين للإسلام وأهله التزموا بالشروط التي وضعها العلماء للبحث العلمي ما قالوا هذا الكلام، والتي منها تجرد الباحث عن الهوى والتعصب لرأي أو لمذهب معين، فلو فعلوا ذلك في مسألة أسرار تعدده (ﷺ) لأزواجه لفرحوا إعجابًا لنبل مشاعر رسول الله (ﷺ) الإنسانية، ولكنه الهوى والتعصب يعمي ويصم، ويضيع الحقائق الثابتة، فلم يكن زواج سيدنا محمد (ﷺ) إلا لمقاصد سامية، وحكم عالية.

المطلب السادس

ثبوت تعدد الزوجات في اليهودية.

لقد أكدت كتب اليهود أن مبدأ التعدد مقرر عندهم، وكان تقرير هذا المبدأ امتدادًا لتقريره لديهم في شريعة إبراهيم – عليه السلام– ومن بعده، حتى جاء موسى – عليه السلام–، فداود جمع بين تسع زوجات أولاً، ثم وصلن إلى تسع وتسعين كما قالوا(١).

وكذلك تذكر التوراة المحرفة أن سليمان – عليه السلام– كان يحب النساء، حتى فتن بهن، وغضب الله عليه(٢).

حاشا لله، وتعالى الله عما يقول اليهود في حق نبي الله تعالى سليمان عليه السلام.

---

(١) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام(٦/٤١).

(٢) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام(٦/٤١).

وقال ابن كثير: إنه كانت لسليمان – عليه السلام– من النساء ألف امرأة ؛ سبعمائة بمهور، وثلاثمائة سراري، وقيل بالعكس: ثلاثمائة حرائر وسبعمائة من الإماء(١).

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ، قال: " قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة بمائة امرأة، تلد كل امرأة غلاما يقاتل في سبيل الله، فقال له الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل ونسي، فأطاف بهن، ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان " قال النبي (ﷺ): " لو قال: إن شاء الله لم يحنث، وكان أرجى لحاجته "(٢).

واختلفت الروايات في عدد نساء سليمان – عليه السلام–، فقيل ستون، أو سبعون، أو تسعون، أو مائة، أو غير ذلك، وأورد ابن حجر كل هذه الروايات في شرحه على البخاري، وجمع بينها فقال رحمه الله:

فمحصل الروايات ستون، وسبعون، وتسعون، وتسع وتسعون، ومائة، والجمع بينها: أن الستين كن حرائر، وما زاد عليهن كن سراري، أو بالعكس، وأما السبعون فللمبالغة، وأما التسعون والمائة فكن دون المائة، وفوق التسعين، فمن قال تسعون ألغى الكسر، ومن قال مائة جبره (٣).

قلت: لا يهمنا العدد، فالثابت في صحيح السنة النبوية أنه كان في عصمته أكثر من زوجة، وأكثر مما تزوجه سيدنا محمد (ﷺ)، فكأن الإسلام – والله أعلم – جاء للحد من تعدد الزوجات.

---

(١) البداية والنهاية (٢/ ٣٤٨)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح، باب قول الرجل: لأطوفن الليلة على نسائي (٧/ ٣٩) ح(٥٢٤٢)، صحيح مسلم في صحيحه في كتاب الأيمان ، باب الاستثناء (٣/ ١٢٧٥) ح (١٦٥٤)، واللفظ للبخاري.

(٣) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٦٠).

وجاء في كتب اليهود أن " رحيمان" جمع بين ثماني عشرة زوجة، وأن " بهو باراع" الكاهن جمع بين زوجتين، وأن " أيبا" ملك يهوذا جمع بين أربع عشرة زوجة(١).

ولقد ظل التعدد جائزًا عند اليهود، ولم يحرمه إلا مجمع " وورمز" الرباني الشهير، الذي عقد في بداية القرن الحادي عشر الميلادي، وإن كان بعض طوائفهم ما زالت تمارسه، أسوة بأنبياء بني اسرائيل(٢).

المطلب السابع

ثبوت تعدد الزوجات في النصرانية.

لقد جاء الإنجيل مكملاً للتوراة، ورسالة عيسى – عليه السلام– مكملة لرسالة موسى – عليه السلام–، بتقرير ما كان صالحًا منها لتطور العصر، وظروف البيئة، ومصححًا ما لحقها من تحريف أو خطأ.

قال تعالى:{وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} (٣).

وقال تعالى:{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ} (٤).

---

(١) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام(٦/٤١).
(٢) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام(٦/٤٣).
(٣) سورة آل عمران الآية (٥٠).
(٤) سورة الصف الآية (٦).

وقال عيسى ابن مريم – عليه السلام– كما في إنجيل متى (١٧/٥): " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس، أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل"(١).

قال الشيخ / عطية صقر: وبهذا نقول: إن عيسى – عليه السلام – لم يحرم تعدد الزوجات، ولم نجد في الإنجيل الصحيح نصًا صريحًا في التحريم(٢).

وقد جاء في " إنجيل متى " مثل مضروب للملكوت الأعلى على لسان المسيح يدل على أن الجمع بين خمس زوجات جائز، بل الجمع بين عشر كذلك جائز، حيث قال ما مؤداه:

" إن عشر عذارى كن ينتظرن عريسًا ليلاً، وكان منهن خمس حكيمات أخذن القناديل واحتياطيًا من الزيت، وخمس أخريات أخذن القناديل فقط.....إلى أن قال: وذهبت هؤلاء الحكيمات الخمس إلى العريس، ودخل بهن منزلاً وأغلقه، ولم يدخل الأخريات لعدم حيطتهن، ولو أنهن اشترين زيتًا احتياطيًا لدخل العريس بالعشرة"(٣).

هذه هي العبارة المنسوبة إليه، ولو كان التعدد حرامًا ما ضرب المسيح مثلاً للسعادة في ملكوت السماء بشيء محرم(٤).

وفي إنجيل مرقس (٣/٦) أنه كان للمسيح أربعة إخوة هم: يعقوب، ويوسي، ويهوذا، وسمعان: " أليس هذا هو النجار ابن مريم، وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان؟ أو ليست أخواته هاهنا عندنا؟

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ص(٥٣٩).
(٢) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام(٤٥/٦).
(٣) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام(٤٦/٦).
(٤) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام(٤٦/٦).

واتفق النصارى على أن مريم أتت بالمسيح بغير زرع بشر، وإذا كان هذا حاله، فهل هؤلاء الأربعة على الحقيقة إخوة أم على المجاز؟[١].

اختلفوا، لأن " في إنجيل متى(٢٥/١)" قال " متى" عن يوسف النجار: " ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر، ودعا اسمه يسوع"، فيكون قد عرفها بعد ولادته[٢].

وإن منهم لفريقًا يقولون: " إنها ظلت عذراء إلى أن ماتت، وإن الأربعة أولاد ليوسف من زوجة سابقة له على مريم"[٣].

وجاء في تفاسير الإنجيل:" أنه كان له أختان أيضًا هما: أستير وثامار"[٤].

وعلى أية حال فإن غرضنا هو: إثبات تعدد الزوجات بإخوة المسيح الأربعة.

وهكذا نجد أن تعدد الزوجات لم يكن من صنع الإسلام، أو الرسول (ﷺ)، وإنما هو تشريع قديم عرفته كل الحضارات والأديان، وفي مقدمتها اليهودية، وأقرته النصرانية، إلا في حالة واحدة هي حالة الأسقف، حيث لا يستطيع الرهبنة مع تعدد الزوجات، فليكتف بزوجة واحدة، والقوانين الوضعية هي التي حرمت التعدد في العالم المسيحي.

يقول الأستاذ/ محمد فؤاد الهاشمي(العالم الذي كان مسيحيًا ثم أسلم): " إن اعتراف المسيحية بتعدد الزوجات بقي إلى القرن السابع عشر"، وظل آباء الكنيسة في الغرب يبيحون تعدد الزوجات، ويعترفون بأبناء الملوك الشرعيين من أزواج متعددات

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين(ص٥٣٩).
(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين(ص٥٣٩).
(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين(ص٥٣٩).
(٤) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين(ص٥٣٩).

باعتراف وستر مارك (wester mark)، وبعرض من العالم القانوني جرتيوس (Grotius 16) [1].

وهكذا نجد أن تعدد الزوجات والسراري كان مباحًا في كتب التوراة والإنجيل التي يقدسها المبشرون والمستشرقون لأنبيائهم، فكيف اعتبروه نقيصة ومطعنًا لسيد البشر، وخاتم الأنبياء محمد (ﷺ)؟

ومن قبل طعن أسلافهم اليهود في النبي (ﷺ) بسبب هذا، فرد عليهم القرآن الكريم أبلغ رد، وذكرهم بأن التعدد سنة من سنن الأنبياء والمرسلين الذين كانوا قبله(ﷺ).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾[2].

قال الألوسي: وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا كثيرة كائنة مِنْ قَبْلِكَ، وَجَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَذُرِّيَّةً أي نساءً وأولادًا كما جعلناها لك.

روي عن الكلبي أن اليهود عيرت رسول الله (ﷺ) وقالوا: ما نرى لهذا الرجل همه إلا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء فنزلت الآية الكريمة:

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} [3].

(١) الإسلام في قفص الاتهام (ص٢٢٩).
(٢) سورة الرعد الآية (٣٨).
(٣) سورة الرعد الآية (٣٨).

ردا عليهم حيث تضمنت أن التزوج لا ينافي النبوة وأن الجمع بينهما قد وقع في رسل كثيرة قبله.

ذكر أنه كان لسليمان عليه السلام ثلاثمائة امرأة مهرية وسبعمائة سرية وأنه كان لداود عليه السلام مائة امرأة، ولم يتعرض جل شأنه لرد قولهم: ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء للإشارة إلى أنه لا يستحق جوابا لظهور أنه عليه الصلاة والسلام لم يشغله أمر النساء عن شيء ما من أمر النبوة، وفي أدائه (ﷺ) للأمرين على أكمل وجه دليل وأي دليل على مزيد كماله ملكية وبشرية. ومما يوضح ذلك أنه (ﷺ) كان يجوع الأيام حتى يشد على بطنه الشريف الحجر ومع ذا يطوف على جميع نسائه في الليلة الواحدة ولا يمنعه ذاك عن هذا.

وفي تكثير نسائه (ﷺ) فوائد جمة، ولو لم يكن فيه سوى الوقوف على استواء سره وعلنه لكفى، وذلك لأن النساء من شأنهن أن لا يحفظن سرا كيفما كان فلو كان منه عليه الصلاة والسلام في السر ما يخالف العلن لوقفن عليه مع كثرتهن ولو كن قد وقفن لأفشوه عملا بمقتضى طباع النساء لا سيما الضرائر.

ومن وقف على الآثار وأحاط خبرا بما روى عن هاتيك النساء الطاهرات علم أنهن لم يتركن شيئا من أحواله الخفية إلا ذكروه، وناهيك ما روي أن الصحابة ﷺ اختلفوا في الإيلاج بدون إنزال هل يوجب الغسل أم لا؟ فسألوا عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت ولا حياء في الدين: فعل ذلك رسول الله (ﷺ) معي فاغتسلنا جميعا، وروي أنهم طعنوا في نبوته بالتزوج وبعدم الإتيان بما يقترحونه من الآيات فنزل ذلك[1].

وقال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري: يقول تعالى: (ولقد أرسلنا)، يا محمد (رسلا من قبلك) إلى أمم قَدْ خَلَتْ من قبلِ أمتك، فجعلناهم بَشرًا مثلَك، لهم أزواج ينكحون، وذريةٌ أنْسَلوهم، ولم نجعلهم ملائكةً لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون،

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني (٧/ ١٥٩).

فنجعلَ الرسولَ إلى قومك من الملائكة مثلهم، ولكن أرسلنا إليهم بشرًا مثلهم، كما أرسلنا إلى من قبلهم من سائر الأمم بشرًا مثلهم(١).

وقال ابن كثير: وكما أرسلناك يا محمد رسولا بشريا، كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بشرا، يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، ويأتون الزوجات، ويولد لهم، وجعلنا لهم أزواجا وذرية(٢).

والخلاصة في ذلك: أن تعدد الزوجات لم يكن رسول الله (ﷺ) فيه بدعًا من الرسل والأنبياء، فقد تزوج إبراهيم، وداود، وسليمان، وغيرهم عليهم السلام جميعًا بأكثر من زوجة، وأي كثرة، فقد كان أحدهم يتزوج بما يقرب من ألف امرأة بين زوجة وسرية كنبي الله سليمان عليه السلام.

وثبت تعدد الزوجات في أشهر ديانتين قبل الإسلام وهما: التوراة والإنجيل، فلماذا توجه حملات الطعن والتشكيك في أخلاقه (ﷺ) بتعدد الزوجات دون غيره من الرسل والأنبياء؟

اللهم إن دلَّ ذلك فإنما يدل على أن العالم كله يُحارب الإسلام، ويريد محوه من على الوجود، ولكن أنى لهم ذلك، فقد أخبرنا القرآن الكريم بذلك.

قال تعالى:{ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (٣).

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان (١٦/ ٤٧٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٢).

(٣) سورة التوبة الآية (٣٢).

المطلب الثامن

حكمة تعدد النبي (ﷺ) لزوجاته الطاهرات رضي الله عنهن.

إن زواج سيدنا محمد (ﷺ) من نسائه كان له حكم عامة، وحكم خاصة.

أولاً: الحكم العامة:

١- حرص النبي (ﷺ) على بلوغ عقائد الدين وشرائعه وآدابه إلى جميع البشرية رجالاً ونساءً، وهذا أهم واجبات الرسالة، وهو التبليغ.

فزوجات سيدنا محمد (ﷺ) تحدثن وروين وأفتين في مسائل عديدة، فالسيدة عائشة رضي الله عنها روت من الأحاديث قرابة ألفين ومائتين وعشرة أحاديث[١]، أخذتها من رسول الله (ﷺ)، وتلقاها عنها كثير من الصحابة والتابعين.

وكان للسيدة عائشة رضي الله عنها استدراكات على الصحابة كاستدراكها على ابن عمر رضي الله عنهما في مسألة البكاء على الميت، واستدراكها على أبي هريرة رضي الله عنه في الصائم يصبح جنبًا، وقد جمع هذه الاستدراكات كلها بدر الدين الزركشي رحمه الله[٢].

والسيدة عائشة رضي الله عنها، ومعها السيدة أم سلمة رضي الله عنها روتا قصة الهجرة من مكة إلى المدينة من أولها إلى نهايتها.

---

(١) الأعلام للزركلي (٣/ ٢٤٠).

(٢) الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق وتخريج: د رفعت فوزي عبد المطلب، أستاذ الشريعة بجامعة القاهرة، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١ م.

وعرفت السيدة عائشة رضي الله عنها بقوة الفصاحة والفقه والحديث، ومعرفة الحلال والحرام، والأنساب، والطب، والشعر، وحل المعضلات، وغير ذلك.

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: «ما أشكل علينا أصحاب رسول الله (ﷺ) حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما»(١).

وعن موسى بن طلحة ﷺ، قال: «ما رأيت أحدًا أفصح من عائشة»(٢).

وعن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: «ما رأيت أحدًا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة رضي الله تعالى عنها»(٣).

وعن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: ما رأيت أحدًا أعلم بالطب من عائشة – رضي الله عنها –، فقلت: يا خالة، ممن تعلمت الطب؟! قالت: كنت أسمع الناس ينعت بعضهم لبعض، فأحفظه(٤).

وعن هشام، عن أبيه، قال: لقد صحبت عائشة، فما رأيت أحدا قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة، ولا بسنة، ولا بشعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا، ولا بقضاء، ولا طب منها.

فقلت لها: يا خالة، الطب من أين علمته؟

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب المناقب، باب من فضل عائشة رضي الله عنها (٥/ ٧٠٥) ح(٣٨٨٣)، وقال عقبه: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب المناقب، باب من فضل عائشة رضي الله عنها (٥/ ٧٠٥) ح(٣٨٨٤)، وقال عقبه: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٤٩).

(٤) أخرجه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٣).

فقالت: كنت أمرض، فينعت لي الشيء، ويمرض المريض، فينعت لـه، وأسـمع الناس ينعت بعضهم لبعض، فأحفظه، قال عروة: فلقد ذهب عامة علمها لم أسـأل عنه(١).

والسيدة حفصة رضي الله عنها روى لها البخاري ومسلم في صـحيحيهما سـتين حديثًا(٢).

٢- معرفة نساء الأمة بأحكام المعاشرة الزوجية، وهذا لا يطلع عليه إلا زوجـات النبي (ﷺ)، وهذا أمر مهم للغاية، فالمعاشرة الزوجية لها منزلتها في اسـتقرار الحياة الزوجية بين الرجل وزوجته، وكذلك تبليغ الأحكـام الخاصـة بالنـساء، ومنها:

- تقبيل النبي(ﷺ) لزوجاته وهو صائم.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان النبي (ﷺ) «يقبل ويباشر وهو صائم، وكـان أملككم لإربه»(٣).

- آداب المضاجعة.

والتي تتمثل في حل جماع الرجل لزوجته بأي طريقة شاء بشرط أن يكون الجمـاع في الفرج.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٣).

(٢) الأعلام للزركلي (٢/ ٢٦٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصوم، باب المباشرة للـصائم (٣/ ٣٠) ح(١٩٢٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليـست محرمـة (٢/ ٧٧٧) ح(١١٠٦).

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، قال: " كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} (١).

- الإكسال بعد الجماع، والغسل بعده أو عدمه.

عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله (ﷺ) عن الرجل يصيب من المرأة ثم يكسل(٢)؟ فقال: «يغسل ما أصابه من المرأة ثم يتوضأ، ويصلي»(٣).

- كيفية تمتع الرجل بزوجته وهي حائض، فكان يأمرها أن تتزر ثم يضاجعها.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضا، فأراد رسول الله (ﷺ) أن يباشرها " أمرها أن تتزر فور حيضتها، ثم يباشرها، قالت: وأيكم يملك إربه، كما كان النبي (ﷺ) يملك إربه(٤).

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٢٣).

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب {نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم} [البقرة: ٢٢٣] الآية (٦/ ٢٩) ح(٤٥٢٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب النكاح ، باب جواز جماعه امرأته في قبلها من قدامها ومن ورائها(٤/١٦٤٥)، ح(١٤٣٥).

(٢) يُكسل: بِضَم أَوله يُقَال أكسل الرجل فِي جماعه: إِذا ضعف عَن الْإِنْزَال. شرح السيوطي على مسلم (٢/ ٩٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحيض، باب إنما الماء من الماء (١/ ٢٧٠) ح (٨٤).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض (١/ ٦٧) ح(٣٠٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض فوق الإزار (١/١١٥) ح(٢٩٣).

- كيفية الغسل من الجنابة.

عن ميمونة رضي الله عنها قالت: «وضع رسول الله (ﷺ) وضوءً لجنابة، فأكفأ بيمينه على شماله مرتين أو ثلاثا، ثم غسل فرجه، ثم ضرب يده بالأرض أو الحائط، مرتين أو ثلاثا، ثم مضمض واستنشق، وغسل وجهه وذراعيه، ثم أفاض على رأسه الماء، ثم غسل جسده، ثم تنحى فغسل رجليه» قالت: «فأتيته بخرقة فلم يردها، فجعل ينفض بيده»(١).

قال الشيخ تقيّ الدين السبكيّ -رحمه اللَّه تعالى-: السرّ في إباحة نكاح أكثر من أربع لرسول اللَّه (ﷺ) أن اللَّه تعالى أراد نقل بواطن الشريعة، وظواهرها، وما يُستحيا من ذكره، وما لا يُستحيا منه، وكان رسول اللَّه (ﷺ) أشدّ الناس حياء، فجعل اللَّه تعالى نسوة ينقلن من الشرع ما يرينه من أفعاله، ويسمعنه من أقواله التي قد يستحيي من الإفصاح بها بحضرة الرجال؛ ليتكمّل نقل الشريعة، وكثر عدد النساء؛ ليكثر الناقلون لهذا النوع، ومنهنّ عُرف مسائل الغسل، والحيض، والعدة، ونحوها. قال: ولم يكن ذلك لشهوة منه في النكاح، ولا كان يحبّ الوطء للذّة البشريّة، معاذ اللَّه، وإنما حُبّب إليه النساء لنقلهنّ عنه ما يَستَحيِي هو من الإمعان في التلفّظ به، فأحبّهنّ لما فيه من الإعانة على نقل الشريعة في هذه الأبواب. وأيضًا فقد نقلن ما لم ينقله غيرهنّ، مما رأينه في منامه، وحالة خلوته، من الآيات البيّنات على نبوّته، ومن جِدِّه، واجتهاده في العبادة، ومن أمور يشهد كلّ ذي لبّ أنها لا تكون إلا لنبيّ، وما كان يشاهدها غيرهنّ، فحصل بذلك خيرٌ عظيمٌ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الغسل، باب من توضأ في الجنابة، ثم غسل سائر جسده، ولم يعد غسل مواضع الوضوء مرة أخرى(١/ ٦٣) ح(٢٧٤).

(٢) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٢٨/ ١٧٤)

٣- رفع درجات النبي (ﷺ)وقوة شخصيته في كثرة تحمله لأعباء الحياة، لأكثر من منزل، وكل منزل له متطلباته واحتياجاته.

فتجد الرجل الآن يتزوج بواحدة، ويعمل في عمل واثنين وربما لا يستطيع أن يكفي نفقات المعيشة الضرورية من أكل وشرب ولبس ومسكن، فما بالك بسيدنا محمد (ﷺ) الذي جمع بين إحدى عشرة امرأة.

لقد فهم الكثير من الناس أن الرجل إذا تزوج بأكثر من واحدة، فإنه يعيش في نعيم ورغد من العيش، ويتقلب في أكل اللحوم والحلوى، وكل ما لذ وطاب، لكن حياة النبي (ﷺ)مع كثرة زوجاته لم تزد عن أكل التمر وشرب اللبن والماء.

عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت لعروة: ابن أختي «إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله (ﷺ) نار»، فقلت يا خالة: ما كان يعيشكم؟ قالت: " الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله (ﷺ) جيران من الأنصار، كانت لهم منائح [(١)]، وكانوا يمنحون رسول الله (ﷺ) من ألبانهم، فيسقينا "[(٢)].

٤- إقامة الحجة على أنه (ﷺ) نبي حقا، فقد توفي عن تسع نسوة، ومع ذلك فلم يشغله هذا التعدد عن القيام بتبليغ شريعة ربه ونشر دينه في حياته، حتى عم الجزيرة العربية كلها وما جاورها من أطراف الممالك الاخرى. وإن الإنسان

---

(١) منائح: بنون ومهملة جمع منيحة وهي كعطية لفظا ومعنى وأصلها عطية الناقة أو الشاة على سبيل التأبيد، وقيل : هي الشاة أو الناقة التي تعطي للغير ليحلبها وينتفع بلبنها ثم يردها على صاحبها. فتح الباري لابن حجر (٥/ ١٩٩) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها (٣/ ١٥٣) ح(٢٥٦٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٨٣) ح(٢٩٧٢).

المنصف ليعجب حقا من هذا؛ إن الواحد منا مهما بلغ من العقل وحسن الكياسة تكون عنده الزوجة فضلا عن الثنتين والثلاث والأربع ومع ذلك يكون في هم من شأنها وإرضائها، ويكون في حيرة من التوفيق بين القيام بحقوقها وحقوق بنيها والقيام بأمور معاشه ومعاده وما وكل إليه من المهام، وهذا رسول الله (ﷺ) قد جمع بين تسع في حياته وهن مختلفات السن والطبائع والأمزجة، ومع هذا فقد قام بأعباء الرسالة خير قيام، وإنها لبطولة حقا تستحق الإعجاب لا الغمز واللمز والاعتراض!! (١).

٥- قوة بدنه وكمال صحته (ﷺ)، فكان يمر على نسائه التسع أو الإحدى عشر في الليلة الواحدة ويغتسل عند كل واحدة منهن، وأعطي قوة ثلاثين رجلاً (ﷺ).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان النبي (ﷺ) يدور على نسائه في الساعة الواحدة، من الليل والنهار- أي يجامعهن -، وهن إحدى عشرة» قال: قلت لأنس أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث «أنه أعطي قوة ثلاثين»(٢).

وقال ابن حجر: وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم ما أعطي النبي (ﷺ) من القوة على الجماع وهو دليل على كمال البنية وصحة الذكورية(٣).

وعن قتادة، أن أنس بن مالك رضي الله عنه، حدثهم «أن نبي الله (ﷺ) كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة، وله يومئذ تسع نسوة»(٤).

---

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد، ومن دار على نسائه في غسل واحد(١/ ٦٢) ح(٢٦٨).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١/ ٣٧٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح ، باب من طاف على نسائه في غسل واحد (٧/ ٣٤) ح(٥٢١٥).

وعن أبي رافع ﷺ «أن النبي (ﷺ) طاف ذات يوم على نسائه، يغتسل عند هذه وعند هذه»، قال: قلت له: يا رسول الله، ألا تجعله غسلا واحدا، قال: «هذا أزكى وأطيب وأطهر»(١).

ونجد الرجل الآن ربما لا يكون عنده إلا زوجة واحدة فضلاً عن اثنين، وربما يأخذ أدوية وعقاقير معينة لتقوية الحالة الجنسية لديه، وهي في الواقع لا تقوي بل تقضي علي كثير من صحته، وهذا ما حدثني به الأستاذ الدكتور/ رئيس قسم القلب بمستشفى الحسين الجامعي عام ١٤٣٧ه.

٦- نشر العلم بعد وفاته (ﷺ)، فقد عاشت السيدة عائشة رضي الله عنها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حوالي نصف قرن، فقد ماتت عام ٥٨ ه(٢).

٧- بيان أن النبي (ﷺ) شخصًا سويًا، له ميول فطرية، ودوافع غريزية كسائر البشر، بل هو أفضل البشرية على وجه الإطلاق.

وفي هذا تبرئة له مما اتهمه المشركون به من السحر والكهانة والجنون إلى غير ذلك، إذ لو كان يعاني شيئًا مما سبق ما تزوج بهذا العدد من النساء، وما رضين به.

٨- إظهار مكانة ومناقب زوجاته الطاهرات، فقد كان ينزل عليه الوحي وهو في لحاف الواحدة منهن.

عن عائشة رضي الله عنها: أن نساء رسول الله (ﷺ) كن حزبين، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الطهارة، باب الوضوء لمن أراد أن يعود (١/ ٥٦) ح(٢١٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٦٧)

الله (ﷺ)، وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله (ﷺ) عائشة، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله (ﷺ)، أخرها حتى إذا كان رسول الله (ﷺ) في بيت عائشة، بعث صاحب الهدية بها إلى رسول الله (ﷺ) في بيت عائشة، فكلم حزب أم سلمة فقلن لها: كلمي رسول الله (ﷺ) يكلم الناس، فيقول: من أراد أن يهدي إلى رسول الله (ﷺ) هدية، فليهده إليه حيث كان من بيوت نسائه، فكلمته أم سلمة بما قلن، فلم يقل لها شيئا، فسألنها، فقالت: ما قال لي شيئا، فقلن لها، فكلميه قالت: فكلمته حين دار إليها أيضا، فلم يقل لها شيئا، فسألنها، فقالت: ما قال لي شيئا، فقلن لها: كلميه حتى يكلمك، فدار إليها فكلمته، فقال لها: «لا تؤذيني في عائشة فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة، إلا عائشة»، قالت: فقالت: أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله، ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله (ﷺ)، فأرسلت إلى رسول الله (ﷺ) تقول: إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر، فكلمته فقال: «يا بنية ألا تحبين ما أحب؟»، قالت: بلى، فرجعت إليهن، فأخبرتهن، فقلن: ارجعي إليه، فأبت أن ترجع، فأرسلن زينب بنت جحش، فأتته، فأغلظت، وقالت: إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت ابن أبي قحافة، فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسبتها، حتى إن رسول الله (ﷺ) لينظر إلى عائشة، هل تكلم، قال: فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها، قالت: فنظر النبي (ﷺ) إلى عائشة، وقال: «إنها بنت أبي بكر»[1].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض (٣/ ١٥٦) ح(٢٥٨١).

٩- الاستعانة بزوجاته الطاهرات في شرح ما يستحيي من شرحه (ﷺ) بحضرة النساء، فقد كان (ﷺ) أشد حياءً من العذراء في خدرها كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه(١).

وهذا يظهر في كيفية طهارة المرأة من دم الحيض، وشرح عائشة رضي الله عنها فيما يستحيي رسول الله (ﷺ) من شرحه.

عن عائشة رضي الله عنها، أن امرأة سألت النبي (ﷺ) عن غسلها من المحيض، فأمرها كيف تغتسل، قال: «خذي فرصة من مسك، فتطهري بها» قالت: كيف أتطهر؟ قال: «تطهري بها»، قالت: كيف؟، قال: «سبحان الله، تطهري» فاجتذبتها إلي، فقلت: تتبعي بها أثر الدم(٢).

١٠- إظهار كرامة أو معجزة أو منقبة لسيدنا رسول الله (ﷺ) كانت كامنة، ولولا هذا العدد من الزوجات ما برزت للناس.

١١- عظم وكمال أخلاقه (ﷺ)، وحسن صفاته الحميدة التي تحلى بها، والتي لا تعرف إلا في ظل الحياة الزوجية بشكل واسع، وبالفعل ظهر ذلك من خلال زواجه (ﷺ) ببعض نسائه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، باب صفة النبي (ﷺ) (٤/ ١٩٠) ح(٣٥٦٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه (ﷺ) (٤/ ١٨٠٩) ح(٢٣٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحيض، باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض، وكيف تغتسل، وتأخذ فرصة ممسكة، فتتبع أثر الدم (١/ ٧٠) ح(٣١٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم (١/ ٢٦٠) ح(٦٠).

فقد تزوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب، وكان أبوها كافرًا محاربًا للرسول (ﷺ) آنذاك.

وتزوج صفية بنت حيي بن أخطب، وقد قَتَل أباها وعمها وزوجها، وقد بلغ من إعجاب أم حبيبة بأخلاقه صلى الله عليه وسلم أن عرضت عليه أن يتزوج أختها.

وخلاصة الأمر أنه لو لم تطلعا هاتين الزوجتين من بواطن أحواله وعظيم أخلاقه وحسن سجاياه على أنه أكمل الأزواج خَلقًا وخُلقًا لكانت الطباع البشرية تقضي بالإعراض والنفور عنه، والميل إلى محبة الآباء والأعمام والأقارب.

١٢- تحقيق صدقه في دعوته، وتبرئته من تهمة الناس له بالسحر والكهانة وما إليهما، إذ كيف يعرف أنه ليس كذلك، وربما مارس بعض هذه الأعمال كالاتصال بالجن مثلاً خفية، حيث لا يكون غالبًا إلا سرًا، ولكن اطلاع الزوجات على أحواله الداخلية، وهن جمع يؤمن معه تواطؤهن على ستر العيوب، ولا يتصور اتفاقهن على مثل هذه الادعآءات الباطلة(١).

١٣- سعة عقله (ﷺ)، وكمال فطانته، وحسن كياسته، ورحابة صدره، ودقة سياسته، في إرضاء جميع زوجاته مع العدل بينهن، وهذا من أقوى الأدلة، ومن أعظم البراهين على أنه صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولاً حقًا إلى جميع البشرية.

١٤- الوقوف على استواء سره وعلنه (ﷺ)، وأنه في معاملته لأهله كمعاملته لصحبه، وأنه لا يحكم تصرفه في هذا إلا التدين الصادق، والخلق الكريم، ومراقبة الله في السر والعلن، إذ الشأن في النساء أن لا يحفظن سرا كيفما كان، فلو كان منه (ﷺ) في السر ما يخالف العلن لعلمنه، ولو علمنه لأذعنه بمقتضى

(١) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام (١٥٩/٦) بتصرف.

طبائعهن البشرية، وهذا أمر معهود في النساء، ولا سيما الضرائر، ولكن لم يكن شيء من هذا، فكان ذلك من الأدلة على أنه نبي حقا!!

إن كثيرا من الزعماء، والساسة، ورجال الإصلاح يخالف ظواهرهم بواطنهم، وعلانيتهم سرهم، مما يسجل عليهم النفاق والخداع، ويعود عليهم بالنقص والمؤاخذة، ويبين الفرق الشاسع بين النبي وغير النبي(١).

١٥- تأليف القلوب، والحدة من العناد التي كانت موجودة عند العرب آنذاك، فكسر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحدة بالمصاهرة.

فها هو أبو سفيان بن حرب عندما سمع أن النبي (ﷺ) تزوج ابنته قال: هو الفحل لا يقدع أنفه (٢).

قال الشيخ محمد الغزالي: اعتذر أبو سفيان عن ذلك بأن محمدًا الرجل من الكفاءة بحيث يعتبر الإصهار إليه منقبة!.

والخصومة القائمة بينهما لا تنزل بقدر محمد (ﷺ) أبدا، ونكاحه لبنت أبي سفيان لا يشين أبا سفيان أبدا، وإن كان يومئذ ألدّ عدوّ له.

وكذا عند زواج النبي (ﷺ) من السيدة خديجة رضي الله عنها قال عمها: ذاك الفحل مثله لا يُرد.

وكذا في اختيار صفية لرسول الله (ﷺ) عندما خيرها بين المقام معه والرجوع إلى أهلها، وكان لذلك أثره في تخفيف الحدة بين الرسول (ﷺ) واليهود بعد ذلك.

---

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٣٠٥).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب معرفة الصحابة (٤/ ٢٤) ح((٦٧٧٣))، وسكت عنه الحاكم والذهبي.

وكذا مع أم المؤمنين جويرية بنت الحارث الهلالية المصطلقية التي اختارت الرسول (ﷺ) عندما جاء أبوها يفتديها منه، وكان قد أخفى بعيرين، فقال له النبي (ﷺ): وأين البعيران اللذان بالعقيق في شعب كذا وكذا، فأسلم، وأسلم معه ولداه، وناس من قومه كما روته كتب السيرة(١).

الحكم الخاصة:

ويقصد بذلك أن كل زوجة تزوجها رسول الله (ﷺ) لها حكمًا خاصة بها، ونستطيع أن نقول إن زواجه (ﷺ) من خديجة وسودة وعائشة وحفصة رضي الله عنهن ينبغي ألا يتحقق منه حكمة، ولا يسئل عن حكمة تزوجهن، فهن في حيز العدد المسموح به لسائر رجال الأمة، فلو أن شخصًا تزوج أربعًا فلا نسأله عن حكمة الزواج بكل واحدة منهن، فالله تعالى أباح له ذلك.

قال تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾(٢).

لكن رسول الله (ﷺ) لكل زوجة من زوجاته حكمة جليلة تزوجها من أجلها.

١- **السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد الأسدية القرشية**، أم المؤمنين، وسيدة نساء العالمين في زمانها، وهي أول امرأة تزوجها النبي (ﷺ) من غير خلاف قبل المبعث بخمس عشرة سنة، وكانت بنت أربعين سنة، ولم يجتمع معها أحد من نسائه، وهي أم أولاده (ﷺ) كلهم سوى إبراهيم بن ماريه القبطية، فولدت

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٨١).
(٢) سورة النساء الآية (٣).

خديجة رضي الله عنها له (ﷺ) القاسم وبه كان يكنى، وعبد الله وهو الطاهر والطيب سمي بذلك لأنه ولد في الإسلام،وقيل إن الطاهر والطيب اسمان لابنين، وقيل إن اسمهما عبد العزى وعبد مناف، وأول من آمن به، وصدقه قبل كل أحد، وثبتت جأشه، ومضت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، ومناقبها جمة، وهي ممن كمل من النساء، وكانت عاقلة، جليلة، دينة، مصونة، كريمة، من أهل الجنة، وكان النبي (ﷺ) يثني عليها، ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين، ويبالغ في تعظيمها، ولذلك كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تغير منها، ومن كرامتها عليه (ﷺ) أنها لم يتزوج امرأة قبلها، وجاءه منها عدة أولاد، ولم يتزوج عليها قط، ولا تسرى إلى أن قضت نحبها، فوجد لفقدها، فإنها كانت نعم القرين، وكانت تنفق عليه من مالها، ويتجر هو (ﷺ) لها، وقد أمره الله أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب، وكانت خديجة رضي الله عنها أولاً تحت أبي هالة بن زرارة التميمي، ثم خلف عليها بعده: عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ثم بعده النبي (ﷺ) فبنى بها، وله خمس وعشرون سنة.

وكانت رضي الله عنها متمولة، فعرضت على النبي (ﷺ) أن يخرج في مالها إلى الشام، فخرج مع مولاها ميسرة، فلما قدم، باعت خديجة ما جاء به، فأضعف، فرغبت فيه، فعرضت نفسها عليه، فتزوجها، وأصدقها عشرين بكرة.

وأولادها منه (ﷺ): القاسم، وبه يُكنى، والطيب، والطاهر، ماتوا رضعًا، ورقية، وزينب وأم كلثوم، وفاطمة، وتوفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة في رمضان، ودفنت بالحجون، وكان ذلك

قبل الهجرة بثلاث سنين، وتتابعت على رسول الله (ﷺ) المصائب بهلاك أبي طالب وخديجة، وكانت خديجة وزيرة صدق، وهي أول خلق الله أسلم، بإجماع المسلمين(١).

الحكمة من زواج النبي (ﷺ) بها:

بادئ ذي بدء يُفضل ألا يسئل عن حكمة في زواجه بخديجة وسودة وعائشة وحفصة رضي الله عنهن، لأن الشرع أباح لكل مسلم أربعة، ولا يُقال للرجل المسلم الذي جمع بين أربعة، لم فعلت ذلك؟

ومع ذلك فإن زواج النبي (ﷺ) من خديجة يكمن في عدة نقاط:

١- أن السيدة خديجة رضي الله عنها أُعجبت بخلقه وذكائه وتجارته (ﷺ)، وخففت عنه الأذى الذي كان يلاحقه من المشركين، إضافة إلى ذلك إدخال الترفيه عليه ورفع روحه المعنوية خاصة عندما جاءه الملك بحراء، وخاف على نفسه أن ما أتاه ربما يكون من الجن، فقالت: كلا، والله لا يخزيك الله أبدًا، وعددت له من مناقبه وصفاته الجميلة ما يطمئن قلبه، ويثبت فؤاده.

قال الشيخ محمد الغزالي: وخديجة مثل طيّب للمرأة التي تكمّل حياة الرجل العظيم، إن أصحاب الرسالات يحملون قلوبا شديدة الحساسية، ويلقون غبنا بالغا من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهادا كبيرا في سبيل الخير الذي يريدون فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهّد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه، بله الإدراك والمعونة! وكانت خديجة سبّاقة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمد (ﷺ) أثر كريم(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٠٩-١١٧)، كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين (ص: ٣٨)، الأساس في السنة وفقههاالسيرة النبوية (٣/ ١٢٦٥).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ٨٠).

ثم يتابع الكلام مبيناً أن زواج أي إنسان لأول مرة لا يسئل عنه، فزواجه (ﷺ) من السيدة خديجة رضي الله عنها، إنما هو زواج الفطرة، والفطرة السليمة تحتم على أي شخص ذلك، فيقول رحمه الله: ولم يجرؤ أحد من أشدّ خصومه لددا أن ينسب إليه دنسًا، أو يتهمه بريبة، في هذه الفترة الخصيبة الرحبة من عمر الإنسان كان رونق العفاف والشرف يتألّق في جبينه حيث سار.

ولو أنّه أحب التزوّج بأخرى ما عاقه مانع من شرع أو عقل أو عادة، فإنّ التعدد كان مألوفا بين العرب، معروفا في ديانة أبي الأنبياء إبراهيم، إلا أنّه ظل مكتفيا بمن استراح إليها واطمأنّ بصحبتها، ولو أنّها طعنت في السن، وبقي هو في كمال قوته وتمام رجولته، ولهذا المسلك دلالته القاطعة.

فلما انتقلت السيدة خديجة رضي الله عنها وأحبّ النبيّ (ﷺ)أن يتزوج، لم يكن البحث عن الجمال في مظانه هو الباعث له على تخيّر شريكته في حياته أو شريكاته، ولو قد فعل ذلك ما تعرّض للوم، بيد أنّ الباعث الأول كان الارتباط بالرجال الذين ازروه في دعوته وعاونوه في رسالته(١).

فيتبين لكل عاقل مفكر منصف أن السيدة خديجة رضي الله عنها قد أغدقت عليه من حنان الأمومة ما فاته في بواكير الطفولة، وأدركه عطفها وهو يعالج من نوازع الدعوة النبوية ثورة مقيمة مقعدة في سريرة النفس، لا تزال بين الجلاء والغموض وبين الإقدام والإحجام، ولا تزال في هذه الحالة على حاجته القصوى إلى التثبيت والكلاءة والتشجيع، ولما توفيت رضي الله عنها لم يعرف عنه (ﷺ) أنه حزن على أحد قط أشد من حزنه عليها، ولا أطال الذكرى لأحد قط بعد وفاته كما أطال ذكراها، حتى إنه قد صعبت عليه الحياة من شدة ما

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٤٣٥).

أصابته من هموم الوحدة والتفرد، فشق ذلك على صحابته المخلصين رضي الله عنهم، وآلمهم ما لحظوه من حزن النبي (ﷺ) على زوجه العزيزة عليه(١).

٢- مشروعية عرض المرأة نفسها، وإبداء رغبتها في الزواج ممن ترغبه من الرجال، فقد تبين من خلال قصة زواج النبي (ﷺ) بالسيدة خديجة رضي الله عنها، أنها هي التي عرضت نفسها على الزواج منه، فقد أرسلت صاحبتها نفيسة بنت منية لتخطبها له (ﷺ)، ولا حرج في ذلك، فلم يكن رسول الله (ﷺ) بدعًا في ذلك، بل هذا حدث بالضبط مع ابنتي شعيب عندما سقى لهما نبي الله موسى عليه السلام.

قال تعالى:{ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ }(٢).

٣- كان زواج الحبيب المصطفى (ﷺ) من السيدة خديجة بتقدير الله تعالى، فقد اختار الله سبحانه وتعالى لنبيه زوجة تناسبه وتؤازره، وتخفف عنه ما يصيبه، وتعينه على حمل تكاليف الرسالة وتعيش همومه(٣).

٤- لكي يتضح الأمر لكل مفكر منصف عاقل من خلال قصة زواج النبي (ﷺ) من السيدة خديجة، عدم اهتمام النبي (ﷺ) بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها، فلو كان مهتما بذلك كبقية الشباب لطمع بمن هي أقل منه سناً، أو بمن لا تفوقه في

(١) سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين (ص: ٤٤).
(٢) سورة القصص الآيات من (٢٦-٢٨).
(٣) السيرة النبوية لأبي شهبة ١٢٢/١.

العمر، وإنما رغب فيها النبي (ﷺ) لشرفها ومكانتها في قومها، فقد كانت تلقب في الجاهلية بالعفيفة الطاهرة[١].

٥- في زواج النبي (ﷺ) من السيدة خديجة ما يلجم ألسنة وأقلام الحاقدين على الإسلام وقوة سلطانه، من المستشرقين وعبيدهم العلمانيين، الذين ظنوا أنهم وجدوا في موضوع زواج النبي (ﷺ) مقتلا يصاب منه الإسلام، وصوروا النبي (ﷺ) في صورة الرجل الشهواني الغارق في لذاته وشهواته، فنجد أن النبي (ﷺ) عاش إلى الخامسة والعشرين من عمره في بيئة جاهلية، عفيف النفس، دون أن ينساق في شيء من التيارات الفاسدة التي تموج حوله، كما أنه تزوج من امرأة لها ما يقارب ضعف عمره، وعاش معها دون أن تمتد عينه إلى شيء مما حوله، وإن من حوله الكثير وله إلى ذلك أكثر من سبيل، إلى أن يتجاوز مرحلة الشباب، ثم الكهولة، ويدخل في سن الشيوخ، وقد ظل هذا الزواج قائما حتى توفيت خديجة عن خمسة وستين عاما، وقد ناهز النبي عليه الصلاة والسلام الخمسين من العمر دون أن يفكر خلالها بالزواج بأي امرأة أخرى، وما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تتحرك فيه رغبة الاستزادة من النساء والميل إلى تعدد الزوجات للدوافع الشهوانية.

ولكن النبي (ﷺ) لم يفكر في هذه الفترة بأن يضم إلى خديجة مثلها من النساء: زوجة أو أمة، ولو أراد لكان الكثير من النساء والإماء طوع بنانه[٢].

٢- **السيدة سودة بنت زمعة بن قيس العامرية القرشية**، أم المؤمنين، وهي أول من تزوج بها النبي (ﷺ) بعد خديجة، وانفردت به نحوًا من ثلاث سنين أو أكثر، حتى دخل بعائشة، وكانت سيدة جليلة، نبيلة، ضخمة، وكانت أولاً عند:

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (١/ ٧٧).

(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (١/ ٧٨).

السكران بن عمرو، أخي سهيل بن عمرو العامري، وأسلمت سودة وزوجها، فهاجرا إلى الحبشة، وقدم بها السكران من الحبشة، فتوفي عنها، فخطبها النبي (ﷺ)، فقالت: أمري إليك، قال: (مري رجلاً من قومك يزوجك)، فأمرت حاطب بن عمرو العامري، فزوجها وهو مهاجري بدري، وتزوج بها رسول الله (ﷺ) في رمضان، سنة عشر من النبوة، وهاجر بها، وماتت بالمدينة، في شوال، سنة أربع وخمسين على الأصح، وهي التي وهبت يومها لعائشة، رعاية لقلب رسول الله (ﷺ).

روى ابن سعد في طبقاته عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت سودة بنت زمعة قد أسنت، وكان رسول الله (ﷺ) لا يستكثر منها، وقد علمت مكاني من رسول الله (ﷺ) وأنه يستكثر مني، فخافت أن يفارقها وضنت بمكانها عنده فقالت: يا رسول الله يومي الذي يصيبني لعائشة وأنت منه في حل. فقبله النبي (ﷺ) وفي ذلك نزلت: { وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} (١).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان رسول الله (ﷺ) إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي (ﷺ)، تبتغي بذلك رضا رسول الله (ﷺ)»(٢).

---

(١) سورة النساء الآية (١٢٨).والحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها، إذا كان لها زوج فهو جائز، إذا لم تكن سفيهة، فإذا كانت سفيهة لم يجز (٣/ ١٥٨) ح (٢٥٩٣)، وأخرجه في كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات (٣/ ١٨٢)

وللسيدة سودة رضي الله عنها خمسة أحاديث، وخرج لها البخاري ومسلم في صحيحيهما، وتوفيت بالمدينة في شوال سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان(١).

الحكمة من زواج النبي (ﷺ) بها:

١- يرجع زواج النبي (ﷺ) بالسيدة سودة رضي الله عنها إلى جبر خاطرها، لأنها وزوجها هاجرا إلى الحبشة، وفور وصولهما مات زوجها وترملت، فتزوجها النبي (ﷺ) مراعاة لحالتها النفسية، وأيضًا لخفة الخزن والكآبة بعد موت خديجة رضي الله عنها.

٢- لكي تقوم على خدمة أبناء سيدنا رسول الله (ﷺ) الصغار، لأنه (ﷺ) بعد موت خديجة لم يتزوج غيرها.

٣- لم تكن السيدة سودة رضي الله عنها على قدر من الجمال أو الجاه أو المال بما يجعل لمطمع من مطامع الدنيا أثرًا في زواجه بها، بل كانت امرأة مسنة، لدرجة أنها تنازلت عن ليلتها لعائشة، وقالت: لست أبغي كما يبغي النساء، وقد جعلت ليلتي لعائشة رضي الله عنها.

٤- لقد كانت السيدة سودة رضي الله عنها تحت السكران بن عمرو، وهو رجل من السابقين إلى الإسلام، وهاجرت معه بعد إسلامها، وأمر النبي (ﷺ) لهما بالهجرة، وعانت من المشاق ما عانى زوجها، ولقيت من الأذى ما لقي زوجها، ومات عنها زوجها، فتزوجها النبي (ﷺ) بعد ذلك وفاة زوجها

=ح(٢٦٨٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب النكاح ، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها (٢/ ١٠٨٥) ح (١٤٦٣).

(١) الطبقات الكبرى (٤/ ١٥٤)، (٨/ ٤٣)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٥)، كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين (ص: ٤٠)، الأساس في السنة وفقههاالسيرة النبوية (٣/ ١٢٦٠).

ليعولها، وليرتفع بمكانتها إلى أن تصير أمًّا من أمهات المؤمنين، فذلك أمر يستحق من أجله أسمى التقدير، وأجلَّ الحمد.

٥- تكريمًا لشخصها، وشخص زوجها الذي مات عنها، وترك لها أولادًا صغارًا، فتزوجها النبي (ﷺ) رعاية لأولادها الأيتام.

قال الشيخ أبو شهبة: ولم تكن ذات جمال بل كانت ذات عيال، وقد أبدت للنبي (ﷺ) إشفاقها عليه من زواجها بما يسببه له صبيتها من إقلاق راحة، فأبدى لها ترحيبا بأولادها(١).

٦- كان زواج النبي (ﷺ) من السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها بناءً على مشورة خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنها وعن زوجها وعن سائر الصحابة الكرام.

عن أبي سلمة، ويحيى، قالا: لما هلكت خديجة، جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون، قالت: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: " من؟ " قالت: إن شئت بكرا، وإن شئت ثيبا؟ قال: " فمن البكر؟ " قالت: ابنة أحب خلق الله عز وجل إليك عائشة بنت أبي بكر، قال: " ومن الثيب؟ " قالت: سودة بنت زمعة، آمنت بك، واتبعتك على ما تقول "، قال: " فاذهبي فاذكريهما علي "، فدخلت بيت أبي بكر، فقالت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عز وجل عليكم من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله (ﷺ)أخطب عليه عائشة، قالت: انتظري أبا بكر حتى يأتي، فجاء أبو بكر، فقالت: يا أبا بكر ماذا أدخل الله عز وجل عليكم من الخير والبركة؟ قال: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله (ﷺ) أخطب عليه عائشة، قال: وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه، فرجعت إلى رسول الله (ﷺ) فذكرت ذلك له، قال: " ارجعي إليه فقولي له: " أنا أخوك، وأنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي "، فرجعت فذكرت

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٣٠٦).

ذلك له، قال: انتظري وخرج، قالت أم رومان: إن مطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه، فو الله ما وعد وعدا قط، فأخلفه لأبي بكر، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الفتى، فقالت يا ابن أبي قحافة لعلك مصبئ صاحبنا مدخله في دينك الذي أنت عليه، إن تزوج إليك، قال أبو بكر للمطعم بن عدي: أقول هذه تقول، قال: إنها تقول ذلك، فخرج من عنده، وقد أذهب الله عز وجل ما كان في نفسه من عدته التي وعده فرجع، فقال لخولة: ادعي لي رسول الله (ﷺ)، فدعته فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين، ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة، فقالت: ماذا أدخل الله عز وجل عليك من الخير والبركة؟ قالت: ما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله (ﷺ) أخطبك عليه، قالت: وددت ادخلي إلى أبي فاذكري ذاك له، وكان شيخاً كبيرًا، قد أدركته السن، قد تخلف عن الحج، فدخلت عليه، فحيته بتحية الجاهلية[1]، فقال: من هذه؟ فقالت: خولة بنت حكيم، قال: فما شأنك؟ قالت: أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة، قال: كفء كريم، ماذا تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذاك، قال: ادعها لي فدعتها، فقال: أي بنية إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك، وهو كفء كريم، أتحبين أن أزوجك به، قالت: نعم، قال: ادعيه لي، فجاء رسول الله (ﷺ) إليه فزوجها إياه، فجاءها أخوها عبد بن زمعة من الحج، فجعل يحثي على رأسه التراب، فقال بعد أن أسلم: لعمرك إني لسفيه يوم أحثي في رأسي التراب أن تزوج رسول الله (ﷺ) سودة بنت زمعة، قالت عائشة: فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث من الخزرج في السنح، قالت: فجاء رسول الله (ﷺ)، فدخل بيتنا واجتمع إليه رجال من الأنصار، ونساء فجاءت

(١) تحية الجاهلية: عم صباحا محذوف من نعم ينعم بكسر الماضي وفتح المستقبل. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٦/ ٣٠١).

بي أمي، وإني لفي أرجوحة[١] بين عذقين[٢] ترجح بي، فأنزلتني من الأرجوحة، ولي جميمة [٣] ففرقتها، ومسحت وجهي بشيء من ماء، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب، وإني لأنهج حتى سكن من نفسي، ثم دخلت بي فإذا رسول الله (ﷺ) جالس على سرير في بيتنا، وعنده رجال ونساء من الأنصار، فأجلستني في حجره، ثم قالت: هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم، وبارك لهم فيك، فوثب الرجال والنساء، فخرجوا وبنى بي رسول الله (ﷺ) في بيتنا، ما نحرت علي جزور، ولا ذبحت علي شاة، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة [٤] كان يرسل بها إلى رسول الله (ﷺ)، إذا دار إلى نسائه وأنا يومئذ بنت تسع سنين [٥].

فكان زواجه (ﷺ) من السيدة سودة رضي الله عنها تخفيفاً من الآمه (ﷺ) والآمها رضي الله عنها.

---

(١) أرجوحة: بضم أوله ، حبل يشد طرفاه في موضع عال ثم يركبه الإنسان ويحرك وهو فيه، سمى به لتحركه ومجيئه وذهابه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٩٨)، فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٢٤).

(٢) عذقين: العذق بالفتح: النخلة، وبالكسر: العرجون بما فيه من الشماريخ، ويجمع على عذاق. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٩٩)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١٢/ ٣١٩).

(٣) جميمة: بالجيم مصغر الجمة بالضم ، وهي مجتمع شعر الناصية، ويقال للشعر إذا سقط عن المنكبين جمة، وإذا كان إلى شحمة الأذنين وفرة. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٠٠)، فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٢٤)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١١/ ١٨٣).

(٤) جفنة : قصعة . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ٢٠٩٢)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٩/ ٤٥٣).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٤٢/ ٥٠١) ح(٢٥٧٦٩)، وحسن إسناده ابن حجر رحمه الله. فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٢٥).

قال الحمودي: لقد كان المسلمون جميعهم يشعرون بما يقاسي – عليه الصلاة والسلام – من آلام المحنة فقد خلا البيت النبوي من أطهر الزوجات وأكرمهن، ومات العم المدافع عن ابن أخيه ورده أهل الطائف ردًا قبيحًا منكرًا، فكان المسلمون يحسون بذلك، ويحاولون أن يخففوا عن رسول الله (ﷺ) بالبحث عمن يقوم على شؤونه ويدبر له أموره وبعد تردد ونظرات بعيدة إلى الماضي تسترجع ذكرى خديجة – رضي الله عنها – قبل الرسول (ﷺ) اقتراح خولة بالزواج، فقالت: إن شئت بكرًا فأمامك عائشة بنت أبي بكر، وأن شئت ثيبًا فهناك سودة بنت زمعة، آمنت بك واتبعتك وهاجرت إلى الحبشة فتوفي عنها زوجها وتركها وحيدة!

فردد (ﷺ) في دهشة ممزوجة بالاستغراب والعجب الاسم أكثر من مرة، ولم يأت ذكر عائشة، وأخيرًا قبل الزواج من سودة لأنها مؤمنة مجاهدة قد ترملت فمن الوفاء أن تنال جزاء ما قدمت وأسلفت في سبيل الله(١).

إنه فور وصول السكران وزوجته السيدة سودة إلى مكة، مرض السكران، ولازم الفراش بسبب العلة والضعف المتناهي، وقامت سودة على تمريضه ومداواته ومساعدته ولكن لم تمض أيام على وصوله حتى اشتد به المرض ومنعه من الكلام والحركة ولم يلبث أن فارق الحياة.

وتأيمت سودة – رضي الله عنها – وأمضت أيامها بمكة حزينة آسفة صابرة على قضاء الله وقدره، معتصمة بإيمانها متمسكة بإسلامها، تستمد من البارئ – عز وجل – العون والرحمة.

ثم كانت البشرى السعيدة التي أثلجت قلبها وعزّتْها في حزنها على مصابها، وأزاحت عن صدرها كابوس المحنة، بشرى خطبتها إلى رسول الله (ﷺ)فلما حلت عدتها، أرسل إليها رسول الله (ﷺ) يقول: «مري رجلاً من قومك يزوجك»، فأمرت

(١) أم المؤمنين سودة بنت زمعة (ص: ٦).

حاطب بن عمر فزوجها، فكانت أول امرأة تزوجها رسول الله (ﷺ) بعد خديجة – رضي الله عنها – وكان ذلك في شهر رمضان سنة عشر من البعثة النبوية الشريفة، وبهذا الزواج المبارك عليها أصبحت سودة بنت زمعة أمًا للمؤمنين بعد خديجة وكانت – رضي الله عنها – تقوم خير قيام على رعاية بيت النبوة من خدمة وحدب على الفتيات الطاهرات اللواتي فجعن بالسيدة العظيمة خديجة بنت خويلد وهن في سن مبكرة أم كلثوم وفاطمة، فقد كانت زينب – رضي الله عنها – متزوجة من ابن خالتها أبي العاص بن الربيع، ورقية – رضي الله عنها – من عثمان بن عفان رضي الله عنه (١).

٣- **السيدة عائشة بنت الإمام الصديق الأكبر**، خليفة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة القرشية، التيمية، المكية، النبوية، أم المؤمنين، زوجة النبي (ﷺ)، وأفقه نساء الأمة على الإطلاق، وكنيتها أم عبد الله كناها به النبي (ﷺ) بابن أختها عبد الله بن الزبير، وقيل أنها جاءت بسقط فسماه النبي (ﷺ) عبد الله، وهاجر بعائشة أبواها، وتزوجها نبي الله قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرًا، ودخل بها في شوال سنة اثنتين، منصرفه (ﷺ) من غزوة بدر، وهي ابنة تسع، يبلغ عدد ما روته من الأحاديث: ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتفق لها البخاري ومسلم على: مائة وأربعة وسبعين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين، وعائشة ممن ولد في الإسلام، وهي أصغر من فاطمة بثماني سنين، وكانت تقول: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين، وكانت امرأة بيضاء جميلة، ومن ثم يقال لها: الحميراء، ولم يتزوج النبي (ﷺ) بكرا غيرها، ولا أحب امرأة حبها، ولا أعلم في أمة محمد (ﷺ) بل ولا في النساء مطلقا امرأة أعلم منها.

---

(١) أم المؤمنين سودة بنت زمعة (ص: ٩).

ومن أهم أحداث حياتها في حياة رسول الله (ﷺ):

١ – حادثة الإفك.

٢ – حادثة ضياع عقدها وما ترتب عليه من نزول آية التيمم.

٣ – حادثة التخيير بين البقاء والطلاق.

٤ – وفاة الرسول (ﷺ) في بيتها.

ومن أهم أحداث جاءتها بعد رسول الله (ﷺ) خروجها مطالبة بدم عثمان رضي الله عنه وما ترتب عليه من موقعة الجمل التي تعتبر من أعظم المآسي في تاريخ المسلمين، وقد كان رسول الله (ﷺ) حذرها من ذلك وقد ندمت بعد ذلك ندماً شديداً.

وتوفي عنها رسول الله (ﷺ)، وهي ابنة ثمان عشرة، وكان ذلك في شهر رمضان ليلة الثلاثاء لسبع عشرة مضت منه، وذلك في سنة ثمان وخمسين،وصلى عليها أبو هريرة ﷺ، ودفنت بالبقيع(١).

روى أبو بكر الآجري عنها كما في السير للذهبي أنها قالت: لقد أعطيت تسعا ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران: لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حتى أمر رسول الله (ﷺ) أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرًا، وما تزوج بكرًا غيري، ولقد قبض ورأسه في حجري، ولقد قبرته في بيتي، ولقد حفت الملائكة ببيتي، وإن كان الوحي لينزل عليه وإني لمعه في لحافه، وإني لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خلقت طيبة عند طيب، ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥)، كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين (ص: ٤١)، الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية (٣/ ١٢٧٧)، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة (ص: ٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤١)، وقال الذهبي: إسناده جيد.

وكان تزويج النبي(ﷺ) بها إثر وفاة خديجة، فتزوج بها وبسودة في وقت واحد، ثم دخل بسودة، فتفرد بها ثلاثة أعوام حتى بنى بعائشة في شوال، بعد وقعة بدر، فما تزوج بكرا سواها، وأحبها حبا شديدا كان يتظاهر به، بحيث إن عمرو بن العاص – وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة – سأل النبي (ﷺ):

أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟

قال: (عائشة).

قال: فمن الرجال؟

قال: (أبوها) (١).

وقالت عائشة لنساء النبي (ﷺ): فضلت عليكن بعشر ولا فخر: كنت أحب نسائه إليه، وكان أبي أحب رجاله إليه، وابتكرني ولم يبتكر غيري، وتزوجني لسبع، وبنى بي لتسع، ونزل عذري من السماء، واستأذن النبي (ﷺ) نساءه في مرضه، فقال: (إنه ليشق علي الاختلاف بينكن، فائذن لي أن أكون عند بعضكن).

فقالت أم سلمة: قد عرفنا من تريد، تريد عائشة، قد أذنا لك، وكان آخر زاده من الدنيا ريقي، أتي بسواك، فقال: (انكثيه يا عائشة)، فنكثته، وقبض بين حجري ونحري، ودفن في بيتي(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، باب قول النبي (ﷺ): «لو كنت متخذا خليلا» (٥/ ٥) ح(٣٦٦٢).

(٢) ذكره الذهبي في السير ، وقال عقبه: هذا حديث صالح الإسناد، ولكن فيه انقطاع. سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٧).

وعن أبي موسى ﷺ، قال: قال رسول الله (ﷺ): " كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء: إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام "(١).

الحكمة من زواج النبي (ﷺ) منها:

تكمن الحكمة في زواج النبي (ﷺ) من السيدة عائشة رضي الله عنها في ثلاثة أمور:

١- تقوية رابطة الصداقة بينه وبين أبي بكر الصديق من خلال المصاهرة، فكأن ذلك تكريمًا للصديق على وقوفه بجوار سيدنا محمد (ﷺ)، وتحمل الأذى عنه.

٢- كثرة روايتها للأحاديث التي تتعلق بشئون النبي (ﷺ) الخاصة في بيته رجلاً، وزوجًا، وإنساناً.

٣- قوة الذكاء الذي كانت تتمتع به السيدة عائشة رضي الله عنها منذ طفولتها، فقد قال السيد الندوي: إن الشخصيات البارزة ذات الأهمية والمكانة العالية كما توجد لديهم مواهب خاصة واستعدادات غير عادية لتطوير وتنمية القوى الذهنية والفكرية، كذلك يتوافر فيهن استعداد كامل للنشأة والنضج المبكر من حيث الجسم، وذلك ما يعبر عنه (النشوء المبكر أو النضج المبكر) وعلى كل فإن موافقته (ﷺ) على زواجه منها في هذه السن المبكرة فيها دليل صريح وقاطع

(١)«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» قيل لم يرد عين الثريد، وإنما أراد الطعام المتخذ من اللحم ، لأن الثريد لا يكون إلا من لحم غالبا، والعرب قلما تجد طبيخا ولا سيما بلحم. ويقال الثريد أحد اللحمين، بل اللذة والقوة إذا كان اللحم نضيجا في المرق أكثر مما يكون في نفس اللحم. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٠٩)

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى {وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون} [التحريم: ١١]- إلى قوله{وكانت من القانتين} [التحريم: ١٢] (٤/ ١٥٨) ح(٣٤١١)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله عنها (٥/ ٢٩) ح(٨٩).

على ما كانت تتمتع به عائشة منذ صباها من غاية الذكاء المتوقد وجودة القريحة وقوة التفكير العالية والبديهة الواعية، وبراعة في الاستنتاج والاستنباط(١).

٤- أمانة تبليغ العلم وبيانه للنساء في حياته (ﷺ)، وبعد مماته.

٥- امتثال النبي (ﷺ) للرؤيا التي رآها في المنام مرتين بزواجه منها رضي الله عنها، فهذه الرؤيا وحي وصدق وحق لا يجوز تغييره.

فعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي (ﷺ)، قال لها: " أريتك في المنام مرتين، أرى أنك في سرقة- قطعة - من حرير، ويقول: هذه امرأتك، فاكشف عنها، فإذا هي أنت، فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه "(٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن زواج الرسول (ﷺ) بفتاة بينه وبينها قرابة خمسين عامًا، ليس بدعًا، ولا غريبًا، لأن هذا الأمر كان مألوفًا في ذلك المجتمع، لكن المستشرقين ومن تحمل قلوبهم الحقد من بعض أهل الكتاب على محمد (ﷺ) جعلوا من هذا الزواج اتهامًا للرسول (ﷺ)بأنه رجل شهواني، غافلين بل عامدين إلى تجاهل ما كان واقعًا في ذلك المجتمع من زواج الكبار بالصغيرات(٣).

---

(١) سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين (ص: ٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، باب تزويج النبي (ﷺ) عائشة، وقدومها المدينة، وبنائه بها (٥/ ٥٦) ح(٣٨٩٥)، وأخرجه في كتاب النكاح، باب نكاح الأبكار (٧/ ٥) ح(٥٠٧٨)، وفي باب النظر إلى المرأة قبل التزويج (٧/ ١٤) ح(٥١٢٥)، وأخرجه في كتاب التعبير، باب كشف المرأة في المنام (٩/ ٣٦) ح(٧٠١١)، وفي باب ثياب الحرير في المنام (٩/ ٣٦) ح(٧٠١٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب في فضل عائشة رضي الله عنها (٤/ ١٨٨٩) ح(٢٤٣٨).

(٣) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين(ص٣٥٧).

٤- **السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنهما**، أم المؤمنين، تزوجها النبي (ﷺ) بعد انقضاء عدتها من خنيس بن حذافة السهمي، أحد المهاجرين، في سنة ثلاث من الهجرة، ومولدها كان قبل المبعث بخمس سنين، فعلى هذا يكون دخول النبي (ﷺ) بها ولها نحو من عشرين سنة، ولما تأيمت عرضها أبوها على أبي بكر، فلم يجبه بشيء؛ وعرضها على عثمان، فقال: بدا لي ألا أتزوج اليوم، فوجد عليهما، وانكسر، وشكا حاله إلى النبي (ﷺ) فقال: (يتزوج حفصة من هو خير من عثمان)، ثم خطبها، فزوجه عمر، ولما أن زوجها عمر، لقيه أبو بكر، فاعتذر، وقال: لا تجد علي، فإن رسول الله (ﷺ) كان قد ذكر حفصة؛ فلم أكن لأفشي سره، ولو تركها لتزوجتها[١].

ومسندها في كتاب بقي بن مخلد: ستون حديثا، اتفق لها الشيخان على أربعة أحاديث، وانفرد مسلم بستة أحاديث[٢].

وروي أن النبي (ﷺ) طلق حفصة تطليقة، ثم راجعها بأمر جبريل -عليه السلام- له بذلك، وقال: (إنها صوامة، قوامة، وهي زوجتك في الجنة) [٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٥)، فقه السيرة النبوية لمنير الغضبان (ص: ٦٥٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٧)، الأساس في السنة وفقههاالسيرة النبوية (٣/ ١٢٦٠).

(٣) هذا الحديث أخرجه الأئمة في كتبهم من حديث قيس بن زيد، وأنس بن مالك، وعمار بن ياسر، وعقبة بن عامر رضي الله عنهم.

فأما حديث قيس بن زيد ﷺ ، فأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٦) ح (٦٧٥٣)، فقال: أخبرني أبو بكر الشافعي، ثنا محمد بن غالب، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا حماد بن سلمة، أنبأ أبو عمران الجوني، عن قيس بن زيد: أن النبي ﷺ طلق حفصة بنت عمر، فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون، فبكت وقالت: والله ما طلقني عن شبع، وجاء النبي ﷺ ، فقال: " قال لي جبريل عليه السلام: راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة "

- وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير من طريق حجاج بن المنهال عن حماد بن سلمة بـه (١٨/ ٣٦٥) ح(٩٣٤)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٢٤٥) ح(١٥٣٣٤).

وأما حديث أنس بن مالك ﷺ ، فأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٧) ح(٦٧٥٤)، فقال: حدثنا علي بن حمشاذ العدل، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، ثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا الحسن بن أبي جعفر، ثنا ثابت عن أنس ﷺ :" أن النبي ﷺ طلق حفصة، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فقال: يا محمد، طلقت حفصة وهي صوامة قوامة، وهي زوجتك في الجنة، فراجعها "

- وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط من طريق قتادة عن أنس به (١/ ٥٤) ح(١٥١)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه جماعة لم أعرفهم. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٢٤٥)

وأما حديث عمار بن ياسر ﷺ ، فأخرجه البزار في مسنده (٤/ ٢٣٧) ح(١٤٠١)، فقال: حدثنا المنذر بن الوليد الجارودي، قال: نا أبي، قال: نا الحسن بن أبي جعفر، عن عاصم، عن زر يعني ابن حبيش، عن عمار بن ياسرﷺ قال: لما طلق رسول الله ﷺ حفصة، أتاه جبريل ﷺ ، فقال: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة " ، قال البزار: ولا نعلم يروى هذا الحديث، عن عمار إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد.

- وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير فقال: حدثنا عبدان بن أحمد عن المنذر بن الوليد الجارودي به (٢٣/ ١٨٨) ح(٣٠٦)، وقال الهيثمي: رواه البزار، والطبراني إلا أنه قال: «أراد رسول الله ﷺ أن يطلق حفصة، فجاءه جبريل عليه السلام فقال: لا تطلقها ؛ فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة» . وفي إسناد بهما الحسن بن أبي جعفر، وهو ضعيف. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٢٤٤) ح(١٥٣٣٢).

وأما حديث عقبة بن عامر ﷺ : فأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٩١) ح(٨٠٤)، فقال: حدثنا أحمد بن طاهر بن حرملة بن يحيى، حدثني حرملة بن يحيى، ثنا ابن وهب، حدثني عمرو بن صالح الحضرمي، عن موسى بن علي، عن أبيه، عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ ، أن النبي ﷺ طلق حفصة، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فوضع التراب على رأسه فقال: ما يعبأ الله بك يا ابن الخطاب بعد هذا، فنزل جبريل عليه السلام فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر "، قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه عمرو بن صالح

توفيت حفصة عام فتحت إفريقية، وماتت ومروان على المدينة، سنة خمس وأربعين بالمدينة، وهي ابنة ستين سنة وصلى عليها مروان ودفنت بالبقيع كما قال ابن عساكر، وصحح ذلك الهيثمي، وقيل سنة إحدى وأربعين كما قال الذهبي(١).

الحكمة من زواج النبي (ﷺ) منها:

تكمن الحكمة في زواج النبي (ﷺ) من السيدة حفصة رضي الله عنها في عدة أمور:

١- تقوية رابطة الصداقة بينه (ﷺ)، وبين عمر بن الخطاب ﷺ من خلال المصاهرة، فكأن ذلك تكريمًا للفاروق عمر ﷺ على وقوفه بجوار سيدنا محمد (ﷺ)، وتحمل الأذى عنه.

قال د/ أبو شهبة رحمه الله: وليس أدل على هذا بالنسبة لحفصة أن أباها عمر دخل عليها وهي تبكي فقال لها: لعل رسول الله (ﷺ) طلّقك، لقد طلقك مرة ثم راجعك من أجلي، والله لو طلقك مرة ثانية لا أكلمك أبدا(٢).

٢- اكرامًا لأبيها سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، وإرضاء لخاطره، لأنه بعد وفاة خنيس بن حذافة السهمي زوج السيدة حفصة رضي الله عنها، أراد سيدنا عمر ﷺ أن يصون ابنته من الترمل والوحدة، فقد كان ترملها مثار ألم دائم لأبيها سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، فعرضها عل صديقه أبي بكر ﷺ فلم يجد

=الحضرمي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٢٤٤) ح(١٥٣٣١).

قلت : الحديث ذكره الذهبي ، ولم يحدد الراوي الأعلى له ، وقال عقبه: إسناده صالح. سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٩).

(١) كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين (ص: ٤١)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٢٤٥)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٣٠) .

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٣٠٦) .

منه ردًا شافيًا، ثم عرضها على عثمان بن عفان ﷺ بعد وفاة زوجته السيدة رقية بنت سيدنا رسول الله (ﷺ) فلم يقبل عثمان ﷺ هذا الزواج، فذهب سيدنا عمر ﷺ يشتكي لرسول الله (ﷺ) ما كان من موقف أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما تجاه ابنته حفصة رضي الله عنها، فكان لا بد من جبر خاطر عمر ﷺ بأن يكون زوج ابنته أفضل من أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، فكان زواجها هو سيدنا محمد (ﷺ) مواساة لعمر ﷺ، وراحة لقلبه، وطمأنينة لقلب ابنته رضي الله عنها.

٥- **السيدة أم سلمة رضي الله عنها**، أم المؤمنين، هند بنت أبي أمية المخزومية، السيدة، المحجبة، الطاهرة، بنت عم خالد بن الوليد سيف الله؛ وبنت عم أبي جهل بن هشام، وكانت من المهاجرات الأول، وكانت قبل النبي (ﷺ)عند أخيه من الرضاعة؛ أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، لأن الذي أرضعتهما وأرضعت حمزة هي ثويبة مولاة أبي لهب، وكان أبو سلمة ابن عمة النبي (ﷺ)، فأمه برة بنت عبد المطلب، وهاجر بها إلى الحبشة فولدت له هناك زينب، وولدت له سلمة، وعمر، ولما عبر أبو سلمة إلى الله كان الذي أغمضه رسول الله (ﷺ)، ثم دعا له، وكان قد جرح بأحد جرحًا، ثم انتقض عليه، فمات منه في جمادى الآخرة سنة أربع، فلما توفي تزوجها النبي (ﷺ)، حين حلت في شوال، ودخل بها (ﷺ) في سنة أربع من الهجرة، وكانت من أجمل النساء، وأشرفهن نسبًا، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين، عمرت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد، فوجمت لذلك، وغشي عليها، وحزنت عليه كثيرًا، لم تلبث بعده إلا يسيرًا، وانتقلت إلى الله، ولها أولاد صحابيون: عمر، وسلمة، وزينب، وكانت تعد من فقهاء الصحابيات، وروت من الأحاديث: ثلاث مائة وثمانية وسبعين حديثا، واتفق البخاري ومسلم لها على ثلاثة عشر، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر، وعاشت رضي الله عنها أربع وثمانون

عامًا، وتوفيت رضي الله عنها سنة أربع وخمسون من الهجرة على الصحيح، صلى عليها أبو هريرة ﷺ، ودفنت بالبقيع[١].

وأم سلمة رضي الله عنها تحكي قصة زواجها من رسول الله (ﷺ)، فتقول:

لما انقضت عدتي من أبي سلمة أتاني رسول الله (ﷺ) فكلمني بيني وبينه حجاب، فخطب إلي نفسي، فقلت: أي رسول الله، وما تريد إلي، ما أقول هذا إلا رغبة لك عن نفسي، إني امرأة قد أدبر مني سني، وإني أم أيتام، وأنا امرأة شديدة الغيرة، وأنت يا رسول الله تجمع النساء، فقال رسول الله (ﷺ): فلا يمنعك ذلك، أما ما ذكرت من غيرتك فيذهبها الله، وأما ما ذكرت من سنك فأنا أكبر منك سنًا، وأما ما ذكرت من أيتامك فعلى الله وعلى رسوله، فأذنت له في نفسي فتزوجني، فلما كانت ليلة واعدنا البناء قمت من النهار إلى رحاي[٢] وثفالي[٣] فوضعتهما، وقمت إلى فضلة شعير لأهلي فطحنتها، وفضلة من شحم فعصدتها لرسول الله (ﷺ)، فلما أتانا رسول الله (ﷺ) قدم إليه الطعام فأصاب منه، وبات تلك الليلة، فلما أصبح قال: قد أصبح بك على أهلك كرامة، ولك عندهم منزلة، فإن أحببت أن تكون ليلتك هذه ويومك هذا كان، وإن أحببت أن أسبع لك سبعت، وإن سبعت لك سبعت لصواحبك، قالت: يا رسول الله افعل ما أحببت[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء (سيرة ١/ ٤٦٥)، (٢/ ٢٠١)، كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين (ص: ٤٢)، الأساس في السنة وفقههاالسيرة النبوية (٣/ ١٢٦٠).

(٢) رحاي: الرَحى: هي التي يطحن بها. الغريبين في القرآن والحديث (٣/ ٧٣٠).

(٣) ثفالي: الثفال بالكسر: جلد يُبْسَطُ فتوضع فوقه الرَحى فيُطْحَنُ باليد ليسقطَ عليه الدقيق، ويسمى الحجر الأسفل ثفالاً بها. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢١٥)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٦٤٦).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٠/ ٨٨) ح(١١٠٢١).

وقالت أم سلمة: قال أبو سلمة: قال رسول الله (ﷺ): إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل {إنا لله وإنا إليه راجعون}، اللهم عندك احتسبت مصيبتي فآجرني فيها وأبدلني بها ما هو خير منها، فلما احتضر أبو سلمة قال: اللهم اخلفني في أهلي بخير. فلما قبض قلت: {إنا لله وإنا إليه راجعون}، اللهم عندك احتسبت مصيبتي فآجرني فيها، وأردت أن أقول: وأبدلني بها خيرًا منها، فقلت: من خير من أبي سلمة ؟ فما زلت حتى قلتها، فلما انقضت عدتها خطبها أبو بكر فردته، ثم خطبها عمر فردته، فبعث إليها رسول الله (ﷺ) فقالت: مرحبًا برسول الله وبرسوله، أخبر رسول الله (ﷺ) أني امرأة غيرى، وأني مصبية[1]، وأنه ليس أحد من أوليائي شاهد، فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما قولك: إني مصبية، فإن الله سيكفيك صبيانك، وأما قولك: إني غيرى فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني، قال: قالت: يا عمر قم فزوج رسول الله (ﷺ)، قال رسول الله (ﷺ): أما إني لا أنقصك مما أعطيت أختك فلانة رحيين[2]، وجرتين [3]، ووسادة من أدم حشوها ليف قال: وكان رسول الله (ﷺ) يأتيها، فإذا جاء أخذت زينب فوضعتها في حجرها لترضعها، وكان رسول الله (ﷺ) حييًا كريمًا يستحيي فيرجع، فعل ذلك مرارًا ففطن عمار بن ياسر لما تصنع قال: فأقبل ذات يوم، وجاء

(١) مصبية : أي ذات صبيان وأيتام. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١١).

(٢) رحيين : الرَحى: قطعةٌ من الأرض غليظة تستدير وترتفع على ما حولها، وقيل : هي التي يطحن بها، والرحا: الفرس، والمراد هنا: التي يطحن بها الشعير. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٣٥٣)، الغريبين في القرآن والحديث (٣/ ٧٣٠)، فقه السيرة النبوية لمنير الغضبان (ص: ٦٦٢).

(٣) جرتين: الجرة: الإناء المعروف من الفخار، وكان الغرض منه هنا شرب الماء . النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٦٠)، فقه السيرة النبوية لمنير الغضبان (ص: ٦٦٢).

عمار، وكان أخاها لأمها، فدخل عليها فانتشطها[١] من حجرها، وقال: دعي هذه المقبوحة المشقوحة [٢] التي آذيت بها رسول الله (ﷺ)، فدخل فجعل يقلب بصره في البيت يقول: أين زناب ؟ ما فعلت زناب ؟ قالت: جاء عمار فذهب بها، قال فبنى رسول الله (ﷺ) بأهله، ثم قال: إن شئت أن أسبع لك[٣] سبعت للنساء[٤].

الحكمة من زواج النبي (ﷺ) منها:

يمكن تلخيص الحكمة في زواج النبي (ﷺ) من السيدة أم سلمة رضي الله عنها في عدة أمور:

١- جبرًا لخاطرها، وتكريمًا لجهادها، وتعويضًا عن فقد عائلها، وعرفانًا لتضحياتها وتضحيات زوجها أبي سلمة في الدفاع عن الإسلام، فقد هاجرا إلى الحبشة، وأيضًا إلى المدينة.

٢- صبرًا لها لما ألمّ بزوجها أبي سلمة في غزوة أحد.

عن عمر بن أبي سلمة قال: خرج أبي إلى أحد فرماه أبو سلمة الجشمي في عضده بسهم، فمكث شهرًا يداوي جرحه، ثم برئ الجرح، وبعث رسول الله (ﷺ) أبي إلى قطن في المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرًا، فغاب تسعًا

---

(١) فانتشطها: اجتذبها. الفائق في غريب الحديث (٢/ ٢٨٦).

(٢) دعي هذه المقبوحة المشقوحة: هما بمعنىً واحد، فالمشقوح: المكسور ، أو البعيد، والمراد هنا: ابنتها زينب، وأخذها من حجرها، وكانت طفلة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٨٩).

(٣) إن شئت أن أسبع لك: أي أقمت عنْدك سبعًا، والأسبوع الْأَيَّام الَّتِي يَدُور عَلَيْهَا الزَّمَان فِي كل سَبْعَة مِنْهَا جُمُعَة يُسمى الْأُسْبُوع، وَتجمع أسابيع. غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٤٥٨)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٣٦).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٠/ ٨٨) ح(١١٠٢٠).

وعشرين ليلة، ثم رجع فدخل المدينة لثمان خلون من صفر سنة أربع، والجرح منتقض، فمات منه لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة أربع من الهجرة، فاعتدت أمي وحلت لعشر بقين من شوال سنة أربع، فتزوجها رسول الله (ﷺ) في ليال بقين من شوال سنة أربع(١).

٣- رعاية لأولادها الأيتام الصغار، فقد رفضت الزواج من رسول الله (ﷺ) بسبب تربيتها لأيتامها، فكفل لها رسول الله (ﷺ) ذلك بقوله لها: أيتامك على الله وعلى رسوله (ﷺ)، وهذا من باب الإحسان، خاصة أن أبا سلمة هو ابن عمة الرسول (ﷺ)، فهو أولى الناس برعاية أهله وولده.

٤- ذهاب ما في قلبها من الغيرة، فقد رفضت الزواج من رسول الله (ﷺ) بسبب غيرتها، فقالت: إني امرأة غيرى، فطمئن النبي (ﷺ) قلبها بقوله: أما غيرتك فأدعوا الله أن يذهبها.

٥- رعاية لكبر سنها، فقد قالت لرسول الله (ﷺ) عندما طلب زواجها، يا رسول الله قد أدبر مني سني، فطيب خاطرها بقوله: أما ما ذكرت من سنك فأنا أكبر منك سناً.

٦- استجابة لدعوتها، فقد قالت عند موت أبي سلمة اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها، فكان رسول الله (ﷺ) أفضل خلف، وأفضل زوج لها ولغيرها من النساء، رضي الله عنهن جميعًا.

قالت أم سلمة: قال أبو سلمة: قال رسول الله (ﷺ): إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل {إنا لله وإنا إليه راجعون}، اللهم عندك احتسبت مصيبتي فآجرني فيها وأبدلني بها ما هو خير منها، فلما احتضر أبو سلمة قال: اللهم اخلفني في أهلي بخير. فلما قبض قلت: {إنا لله وإنا إليه راجعون}، اللهم عندك احتسبت مصيبتي فآجرني فيها، وأردت

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٦٩)

أن أقول: وأبدلني بها خيرا منها، فقلت: من خير من أبي سلمة ؟ فما زلت حتى قلتها، فلما انقضت عدتها خطبها أبو بكر فردته، ثم خطبها عمر فردته، فبعث إليها رسول الله (ﷺ) فقالت: مرحبًا برسول الله وبرسوله(١).

٧- استجابة لدعوة زوجها أبي سلمة ﷺ.

عن زياد بن أبي مريم قال: قالت أم سلمة لأبي سلمة: بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة وهي من أهل الجنة، ثم لم تزوج بعده إلا جمع الله بينهما في الجنة، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل بعدها، فتعال أعاهدك ألا تزوج بعدي، ولا أتزوج بعدك، قال: أتطيعيني؟ قلت: ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك، قال: فإذا مت فتزوجي، ثم قال: اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيرًا مني لا يحزنها ولا يؤذيها، قال: فلما مات أبو سلمة، قلت: من هذا الفتى الذي هو خير لي من أبي سلمة؟ فلبثت ما لبثت ثم جاء رسول الله (ﷺ) فقام على الباب فذكر الخطبة إلى ابن أخيها أو إلى ابنها وإلى وليها، فقالت أم سلمة: أرد على رسول الله (ﷺ) أو أتقدم عليه بعيالي، قلت: ثم جاء الغد فذكر الخطبة، فقلت مثل ذلك، ثم قالت لوليها: إن عاد رسول الله (ﷺ) فزوج، فعاد رسول الله (ﷺ) فتزوجها(٢).

٨- مكآفأة ربانية على ما لاقته من آلام وأحزان، عند إسلامها، وعند هجرتها، فقد تكبدت المشاق، وتركت أهلها، فقد كانت أول مهاجرة للحبشة، وأول سائرة للمدينة مع زوجها أبي سلمة، وقد انتزعها أهلها من زوجها عند الهجرة إلى المدينة، ثم لحقت به بعد ذلك، رضي الله عنها وأرضاها، فكافأها الله تعالى بزواجها من سيدنا رسول الله (ﷺ).

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٠/ ٨٨) ح(١١٠٢٠).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٧٠).

وصدق ربنا إذ يقول:﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(١).

٦- السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها.

زينب بنت جحش بن رياب، أم المؤمنين، وابنة عمة رسول الله (ﷺ)، وأمها: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، وكانت رضي الله عنها من المهاجرات الأول، وكانت عند زيد مولى النبي (ﷺ) وهي التي يقول الله فيها:{ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا}(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾ الذي أخفاه النبي (ﷺ) هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، وكان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني، بأمر لا أبلغ في الابطال منه، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابنًا له، ووقوع ذلك من النبي (ﷺ) ليكون أدعى لقبولهم(٣).

أخرج الترمذي من طريق داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن عائشة، قالت: " لو كان رسول الله (ﷺ) كاتمًا شيئًا من الوحي لكتم هذه الآية:{ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ

(١) سورة العنكبوت الآية (٦٩).
(٢) سورة الأحزاب الآية (٣٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١١).

وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا } (١)، وإن رسول الله (ﷺ) لما تزوجها قالوا: تزوج حليلة ابنه، فأنزل الله تعالى:{ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا } (٢)، وكان رسول الله (ﷺ) تبناه وهو صغير، فلبث حتى صار رجلاً يقال له: زيد بن محمد، فأنزل الله:{ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} (٣) فلان مولى فلان، وفلان أخو فلان ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ " يعني أعدل(٤).

زوَّج الله تعالى نبيه (ﷺ) بالسيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها بنص كتابه، بلا ولي ولا شاهد(٥).

وكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين، وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات (٦).

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٣٧).

(٢) سورة الأحزاب الآية (٣٨).

(٣) سورة الأحزاب الآية (٥).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة الأحزاب (٥/ ٣٥٢) ح(٣٢٠٧)، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١١).

(٦) نص حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء (٩/ ١٢٤) ح(٧٤٢٠).

تزوج النبي (ﷺ) بزينب رضي الله عنها في ذي القعدة، سنة خمس، وهي يومئذ بنت خمس وعشرين سنة كما قال الذهبي، وقال ابن عساكر: كان عمرها وقت الزواج خمس وثلاثين سنة، وكانت رضي الله عنها من سادة النساء دينًا، وورعًا، وجودًا، ومعروفًا، فكانت صالحةً، صوامة، قوامة، بارة، ولزينب رضي الله عنها أحد عشر حديثًا، اتفقا لها على حديثين، وحديثها في الكتب الستة، وعاشت ثلاث وخمسين سنة، وتوفيت في سنة عشرين، وصلى عليها عمر ﷺ، ودفنت بالبقيع، وهي أول أزواجه موتًا (أي بعده (ﷺ))[1].

يرحم الله تعالى زينب، لقد نالت في الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف، إن الله زوجها، ونطق به القرآن، وكانت من أسرع أهله لحوقًا به بعد ابنته فاطمة رضي الله عنها.

الحكمة من زواج النبي (ﷺ) بها:

من خلال ما سبق يتضح لكل منصف أسباب زواج النبي (ﷺ) من أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها، والتي منها:

١- إزالة وتحطيم الفوارق المادية من مال ونسب ومكانة اجتماعية عند الزواج، فقد قال منير الغضبان: إن النبي (ﷺ) زوج زيد بن حارثة الذي كان متبناه - وكان يدعى زيد بن محمد، ثم دعي إلى أبيه - من زينب بنت جحش ابنة عمة رسول الله (ﷺ) ليحطم بهذا الزواج فوارق الطبقات الموروثة، ويحقق معنى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٧)، كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين (ص: ٤٤).

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١)، ويقرر هذه القيمة الإسلامية الجديدة بفعل عملي واقعي(٢).

٢- إبطال عادة التبني، فإن زوجها زيد بن حارثة كان يدعي زيد بن محمد، فنزل القرآن الكريم بإبطال ذلك.

قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٣).

وكان التبني قبل تحريمه يمنع تزوج الرجل بمطلقة ابنه المتبني، فكان الغرض من الزواج حل زوجة الابن من التبني، وهذا اختبار قاس على نبينا محمد (ﷺ)، لأن حرمة تزوج زوجة الابن المتبني كان شائعًا عند العرب، ووقف النبي (ﷺ) وحده لإبطال هذه العادة، وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة.

قال تعالى:﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا﴾ (٤).

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٣).

(٢) فقه السيرة النبوية لمنير الغضبان (ص: ٦٦٢).

(٣) سورة الأحزاب الآية (٤،٥).

(٤) سورة الأحزاب الآية (٣٧).

يقول الشيخ محمد الغزالي: اعترى الرسول (ﷺ) همّ مقلق لهذا الأمر الغريب، وساوره التوجّس من الإقدام عليه، بل أخفاه في نفسه خوفا من مغبته، فسيقول الناس: تزوّج امرأة ابنه، وهي لا تحلّ له!!.

ولكن هذا الذي سيقوله الناس هو ما أراد الله هدمه، ويجب على النبي (ﷺ) أن ينفذه دون تهيب.

وقد تريّث النبيّ (ﷺ) في إنفاذ أمر الله، ولعلّه ارتقب من الله- لفرط تحرجه- أن يعفيه منه، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فعند ما جاء زيد يشكو امرأته، ويعرض نيته في تطليقها، قال له النبي (ﷺ): «أمسك عليك زوجك واتق الله».

عند ذلك نزل الوحي يلوم الرّسول (ﷺ) على توقّفه، ويعتب عليه تصرّفه، ويحضّه على إمضاء رغبة زيد في فراق امرأته، ويكلّفه بتزوجها، ولو قال الناس:

تزوّج امرأة ابنه، فإنّ ادّعاء البنوة لون من التزوير، تواضع عليه العرب مراغمة للحق، وينبغي أن يقلعوا عنه، وأن يهدروا نتائجه، وليكن عمل الرسول (ﷺ) بنفسه، وبمن التصق به أول ما يهدم مآثر الجاهلية في العرف الشائع.

على أنّ الغريب في هذه القصة ما أدخله المغفّلون عليها من دسائس الشهوة ومظاهر الحبّ الرخيص، فقد زعموا أنّ الرسول (ﷺ) أحبّ زينب، ثم كتم هذا الحب، ثم ظهر، فتزوجها بعد ما طلقت!.

ثم زعموا أنّ صدر الآية السابقة جاء عتابا له عن هذه العاطفة المكبوتة.

ونحن نتعجّب أشدّ العجب لهذا الخبط الهائل، ومحاولة تلبيس الحق بالباطل.

من كان يمنع محمدا (ﷺ) من الزواج بزينب وهي قريبته- بنت عمته- وهو الذي ساقها إلى رجل لم تكن فيه راغبة، وطيّب خاطرها لترضى به؟!.

أفبعد أن يقدّمها لغيره يطمع فيها؟!.

ثم لننظر إلى الآية، وما يزعمون أنها تضمنته من عتاب.

إنهم يقولون: الذي كان يخفيه النبي (ﷺ) في نفسه، ويخشى فيه الناس دون الله هو ميله لزينب، أي أنّ الله- بزعمهم- يعتب عليه عدم التصريح بهذا الميل!.

ونقول: هل الأصل الخلقي أنّ الرجل إذا أحب امرأة لغط بين الناس مشهّرا بنفسه وبمن أحبّ؟ وخصوصا إذا كان ذا عاطفة منحرفة، جعلته يحب امرأة رجل اخر؟.

هل يلوم الله رجلا لأنّه أحبّ امرأة اخر فكتم هذا الحبّ في نفسه، أكان يرفع درجته لو أنّه صاغ فيها قصائد غزل؟.

هذا والله هو السفه!.

وهذا السفه هو ما يريد بعض المغفّلين أن يفسّروا به القران!!.

إنّ الله لا يعاتب أحدا على كتمان حبّ طائش، وإنّما سياق الواقعة هو كما قصصنا عليك.

فالذي أخفاه النبي (ﷺ) في نفسه تأذّيه من هذا الزواج المفروض، وتراخيه في إنفاذ أمر الله به، وخوفه من لغط الناس عند ما يجدون نظام التبني- كما ألفوه- قد انهار.

وقد أفهم الله نبيّه أنّ أمره لا يجوز أن يقفه توهّم شيء ما. وأنّه- بإزاء التكليف الأعلى- لا مفرّ له من السمع والطاعة، شأن من سبقه من المرسلين.

وإذا عدت إلى الآية التي تتضمّن القصة؛ وجدتها ختمت بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾(١)، أي من حقه أن يقع حتمًا.

(١) سورة الأحزاب الآية (٣٧).

ثم أعقبها ما يؤكد هذا المعنى ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا *الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (١).

إنّك عند ما تثبّت قلب رجل تقول له: لا تخش إلا الله.

إنّك لا تقول ذلك له وهو بصدد ارتكاب معصية، إنما تقول ذلك له وهو يبدأ القيام بعمل فاضل كبير، يخالف التقاليد المتوارثة.

وظاهر في هذه الآيات كلّها أنّ الله لا يجرّئ نبيّه على التدلّه بحب امرأة، إنما يجرئه على إبطال عادة سيئة يتمسّك الناس بها، ويراد منه كذلك أن ينزل على حكمها، لذلك يقول الله- بعد ذلك مباشرة- وهو يهدم نظام التبني: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٢).

٣- مكافأة ربانية للسيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها لقبولها ورضاها حكم الله ورسوله في الزواج من زيد، وهو مولى من الموالي، وهي شريفة نسيبة قرشية، بنت أميمة عمة النبي (ﷺ).

وفيها نزل القرآن الكريم: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا﴾(٣).

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٣٨-٣٩).

(٢) سورة الأحزاب الآية (٤٠).

فقه السيرة للغزالي (ص: ٤٣٧-٤٤٠).

(٣) سورة الأحزاب الآية (٣٦).

٤- تقرير أن الكفاءة ليست شرطًا أساسيًا في الزواج، خلافًا للإمام مالك، والكفاءة تعني المساواة في الدين والنسب والصنعة والحرية واليسار والسلامة من العيوب.

فكان زواج السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها من زيد بن حارثة ليس فيه كفاءة من ناحية الحرية والنسب، فقد كان زيد مولى، وهي من قبيلة سيدنا رسول الله (ﷺ)، وفي هذا فتح الباب لبنات الأغنياء والأشراف ليتزوجن من الموالي والفقراء، وكذا العكس، فالميزان عند الله هو التقوى.

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١).

وخطب النبي (ﷺ) في وسط أيام التشريق فقال: " يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى(٢).

٥- استجابة وتلبية لأمر الله تعالى، فزواج (ﷺ) من السيدة زينب بنت جحش كان بأمر من الله تعالى، ولم يكن لشهوة أو لدنيا.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا ﴾(٣).

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨/ ٤٧٤) ح (٢٣٤٨٩)، وقال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/ ٢٦٦).

(٣) سورة الأحزاب الآية (٣٧).

٦- الراحة النفسية، والسعادة الزوجية.

لقد عاشت السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها مع زيد بن حارثة حياة زوجية بعيدة عن الاحتواء والعطف والحنان، فكانت التفرقة بينهما هي الحل الأصوب لكل منهما، ومن ثم فقد قال الشيخ الغزالي رحمه الله:

دخل زيد بزينب، فوجد امرأة مصروفة الفؤاد عنه، تسلّمه جسدها وتحرمه العطف والتقدير، فثارت رجولته، وقرر ألا يبقى معها، وتدخّل النبي (ﷺ) بين الحين والحين لإصلاح ذات البين دون جدوى.

في هذه الحال أوحى الله لنبيّه أن يدع زيدًا يطلّق زوجته، وأن يتزوجها هو بعد انتهائها منه(١).

٧- السيدة جويرية بنت الحارث الهلالية.

جويرية - بضم الجيم مصغر- بنت الحارث بن أبي ضرار- بكسر الضاد المعجمة وتخفيف الراء- ابن الحارث بن المصطلق، الهلالية المصطلقية، أم المؤمنين، وسبيت يوم غزوة المريسيع، في السنة الخامسة(٢).

وكانت السيدة جويرية رضي الله عنها تقية، نقية، ورعة، صوامة، قوامة، حسيبة، نسيبة، عفيفة، طاهرة، كريمة، متصدقة، وكان اسمها في الجاهلية: برة، فغير النبي (ﷺ) اسمها إلى جويرية، لأنه كان يكره أن يقال خرج من عند برة، فالبارة والفاجرة يعلمها الله تعالى، ولعل هذا من باب: فلا تزكوا أنفسكم، وهذا من كريم أخلاق النبي (ﷺ)، وحسن سجاياه.

---

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٤٣٧).

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١١/ ٢١١)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦١).

عن ابن عباس رضي الله عنهما: " كان اسم جويرية بنت الحارث زوج النبي (ﷺ) برة، فحول رسول الله (ﷺ) اسمها، فسماها جويرية [١]."

وتعد جويرية رضي الله عنها خالة ابن عباس رضي الله عنهما، لأن زوج العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه لبابة بنت الحارث الهلالية.

وكانت السيدة جويرية رضي الله عنها ملك يمين، فأعتقها رسول الله (ﷺ) وتزوجها في شعبان سنة ٦ هـ[٢].

وكان عمرها وقت الزواج عشرين عامًا، وكانت من أجمل النساء، لدرجة أنها لما سألت السيدة عائشة رضي الله عنها عن مكان سيدنا محمد (ﷺ)، قالت عائشة رضي الله عنها: فو الله ما هو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبي (ﷺ) وعرفت أنه سيرى منها مثل الذي رأيت، لأنها من شدة جمالها كان لا يراها رجل إلا وقعت في نفسه، وتزوجها النبي (ﷺ) لنجاتها من الرق والإماء، فأسلمت وحسن إسلامها.

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: لما قسم رسول الله (ﷺ) سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس – أو لابن عم له – وكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة[٣] لا يراها أحد إلا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند(٥/ ٧٧) ح(٢٩٠٠) ، وصححه الأرنؤوط.

(٢) الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية (٣/ ١٢٦١).

(٣) ملاَّحة: بالفتح، بهج وحسن منظره فهو مليح، والأنثى مليحة، والجمع ملاح، والملاح أبلغ من المليح في كلام العرب، وكذلك الوضاء أبلغ من الوضيء، والكبار كذلك أبلغ من الكبير، غير أنه لا يوصف الباري سبحانه بهذا اللفظ، فيقال فيه كبار بمعنى كبير، لأنه على بنية الجمع، نحو ضراب وشهاد، فكان لفظ الكبير ونحوه أبعد من الاشتراك، وأدل على الوحدانية، والله أعلم.

والملاحة: ذهب قوم إلى أنها من الملحة وهي البياض، والصحيح في معنى المليح، أنه مستعار من قولهم:

أخذت بنفسه، فأتت رسول الله (ﷺ) تستعينه في كتابتها، قالت: فو الله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس – أو لابن عم له – فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي. قال: " فهل لك في خير من ذلك؟ ". قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: " أقضي كتابتك وأتزوجك " قالت: نعم يا رسول الله. قال: " قد فعلت ". قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله (ﷺ) تزوج جويرية بنت الحارث، فقال الناس: أصهار رسول الله (ﷺ)فأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها(١).

لقد صاحب زواج النبي (ﷺ)من السيدة جويرية رضي الله عنها كرامات، تلخصت في إيمان والدها، وجميع أهل بيته، والكثير من بيوت بني المصطلق التي قُدرت بمائة بيت كما في الحديث السابق.

=طعام مليح إذا كان فيه من الملح بقدر ما يصلحه، ولذلك إذا بالغوا في المدح قالوا: مليح قزيح، فمليح من ملحت القدر، وقزيح من قزحتها إذا طيبت نكهتها بالأفاوية، وهي الأقزاح، ويدلك على بعد هذا المعنى من البياض قولهم: في الأسود: مليح، وفي العينين إذا اشتد سوادهما وحسنهما. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٥٥)، غريب الحديث للخطابي (١/ ٢٦٤)، الفائق في غريب الحديث (٣/ ٣٨٥)، الروض الأنف (٦/ ٤٣٢)، سبل الهدى والرشاد (٤/ ٣٥٨).

(١) أخرجه أحمد في مسنده(٤٣/ ٣٨٤) ح(٢٦٣٦٥)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٩٢)، وابن إسحاق في سيرته كما في الروض الأنف (٦/ ٤٠٥)، وكما في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٣٤٦)، وكما في سير أعلام النبلاء (سيرة ١/ ٤٧٠).

قال ابن سيد الناس اليعمري: لما انصرف رسول الله (ﷺ) من غزوة بني المصطلق، ومعه جويرية بنت الحارث، فكان بذات الجيش، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدم رسول الله (ﷺ) المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بعيرين منها، فغيبهما في شعب من شعاب العقيق، ثم أتى النبي (ﷺ)، فقال: يا محمد، أصبتم ابنتي، وهذا فداؤها، فقال رسول الله (ﷺ): فأين البعيران اللذان غيبت بالعقيق في شعب كذا وكذا؟

فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، صلى الله عليك، فو الله ما اطلع على ذلك إلا الله تعالى، فأسلم الحارث، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين، فجاء بهما فدفع الإبل إلى النبي (ﷺ)، ودفعت إليه ابنته جويرية، فأسلمت وحسن إسلامها، وخطبها رسول الله (ﷺ)إلى أبيها، فزوجه إياها، وأصدقها أربع مائة درهم، وكانت قبل رسول الله (ﷺ) عند ابن عم لها يقال له عبد الله(١).

روت السيدة جويرية رضي الله عنها من الأحاديث: سبعة أحاديث، منها عند البخاري حديث، وعند مسلم حديثان، والباقي في دواوين السنة (٢).

وتوفيت رضي الله عنها في ربيع الأول سنة خمسين على الصحيح، وقيل: توفيت سنة ست وخمسين، وصلّى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة، وقد بلغت

(١) الروض الأنف (٧/ ٥٣٧).

(٢) أم المؤمنين جويرية بنت الحارث (ص: ١٤).

سبعين سنة، وكانت جنازتها مشهودة، رضي الله عن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث(١).

الحكمة من زواج النبي (ﷺ) بها:

من خلال ما سبق يتضح لكل عاقل مفكر منصف أسباب زواج النبي (ﷺ) من أم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنها، والتي منها:

١- اعترافها برسالة النبي (ﷺ) ونبوته، قبل عتقها، وإظهار إسلامها، وزواجها من النبي (ﷺ).

فقد قالت كما سبق في الحديث عند التعريف بها:: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس - أو لابن عم له - فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي. قال: " فهل لك في خير من ذلك؟

٢- تخليصها من الرق والإماء، من خلال أنه أعتقها، فصارت حرة فتزوجها، وأسلمت وحسن إسلامها.

٣- مراعاة حالتها النفسية، وتخفيف الألم عنها، ومواساتها.

تزوج النبي (ﷺ) بالسيدة جويرية رضي الله عنها، ولم يمض على زواجها إلا أيام قلائل، فجاءت والحزن والأسى سيطر على قلبها، والعينان تفيضان بالدموع، بسبب أن زوجات النبي (ﷺ) قلن لها: لست بزوجة لرسول الله (ﷺ).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٣)، كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين (ص: ٤٣)، الروض الأنف (٦/ ٤٣٦).

عن مجاهد قال: قالت جويرية رضي الله عنها: يا رسول الله إن نساءك يفخرن علي يقلن لم يتزوجك رسول الله (ﷺ)، فقال رسول الله (ﷺ): «ألم أعظم صداقك ألم أعتق أربعين من قومك»(١).

وعن عمر بن الخطاب ﷺ، أن رسول الله (ﷺ)ضرب على جويرية الحجاب وكان يقسم لها كما يقسم لنسائه(٢).

٤- تكريمًا لوالدها سيد بني المصطلق، وأهل بيتها، بل وبيوت بني المصطلق، فقد دخل الخير إلى بيوت بني المصطلق، وعمت البركة، وأسلم الكثير منهم، وظهرت الكرامات على النبي (ﷺ) عند الزواج بأم المؤمنين جويرية، فقد أخذ والدها معه فدية من الإبل، وذهب إلى رسول الله (ﷺ) ليفتديها بذلك، لكن والدها الحارث سيد قومه خبأ بعيرين في شعب من الشعاب، فلما وصل إلى رسول الله (ﷺ) كانت الكرامة، وتجليات النبوة، فقال (ﷺ) للحارث: أين البعيران اللذان غيبت بالعقيق في شعب كذا وكذا؟ أين البعيرين اللذين خبأتهما في شعب كذا، فعندها فطن الحارث، أن هذا الأمر لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، فعلم من خلال هذا الموقف أنه رسول من عند الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وأسلم ولداه، وجمع كبير من بني المصطلق.

٥- زواجه (ﷺ) بالسيدة جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق كان لحكمة سامية جدا، فقد كان هذا سببا في أن منّ الصحابة على من في أيديهم من سبايا

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ١١٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٥٩) ح(١٥٥)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني مرسلا، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٢٥٠).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٩٤).

بني المصطلق، مما تسبب عنه إسلام أبيها وإسلام قومها، فكانت أيمن امرأة على قومها(١).

٦- تحقيق الرؤيا التي رأتها أم المؤمنين جويرية في منامها قبل زواجها بسيدنا رسول الله (ﷺ).

عن حزام بن هشام، عن أبيه، قال: قالت جويرية بنت الحارث: رأيت قبل قدوم النبي (ﷺ) بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري، فكرهت أن أخبر بها أحدا من الناس حتى قدم رسول الله (ﷺ) فلما سبينا رجوت الرؤيا، قالت: فأعتقني رسول الله (ﷺ) وتزوجني، والله ما كلمته في قومي، حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم، وما شعرت إلا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر، فحمدت الله عز وجل(٢).

٨- السيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها.

السيدة أم حبيبة أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، ومسندها: خمسة وستون حديثًا، واتفق لها البخاري ومسلم على حديثين، وتفرد مسلم بحديثين، وهي من بنات عم الرسول (ﷺ) ليس في أزواجه من هي أقرب نسبًا إليه منها، ولا في نسائه من هي أكثر صداقًا منها، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها.

عقد له (ﷺ) بالحبشة، وأصدقها عنه صاحب الحبشة (النجاشي) أربع مائة دينار، وجهزها بأشياء، وتزوجها النبي (ﷺ) سنة سبع من الهجرة، وكان وليها في الزواج عثمان بن عفان رضي الله عنه.

---

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٣٠٧).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٥٠)، وذكره الصالحي في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١١/ ٢١١).

عن الزهري، قال: «تزوج رسول الله (ﷺ) أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت قبله تحت عبيد الله بن جحش الأسدي أسد خزيمة، فمات عنها بأرض الحبشة وكان خرج بها من مكة مهاجرا، ثم افتتن وتنصر، فمات وهو نصراني، وأثبت الله الإسلام لأم حبيبة والهجرة، ثم تنصر زوجها ومات وهو نصراني، وأبت أم حبيبة بنت أبي سفيان أن تتنصر، وأتم الله تعالى لها الإسلام والهجرة، حتى قدمت المدينة، فخطبها رسول الله (ﷺ)، فزوجها إياه عثمان بن عفان» (١).

وروى الحاكم بسنده عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه قال: «بعث رسول الله (ﷺ) عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي يخطب عليه أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت تحت عبيد الله بن جحش فزوجها إياه وأصدقها النجاشي من عنده عن رسول الله (ﷺ) أربعمائة دينار»(٢).

ولما بلغ أبا سفيان نكاح النبي (ﷺ) ابنته، قال: ذاك الفحل لا يقرع أنفه.

وأم حبيبة، توفي عنها زوجها الذي هاجر بها إلى الحبشة: عبيد الله بن جحش بن رياب الأسدي مرتدًا متنصرًا، وتوفيت في سنة أربع وأربعين في خلافة أخيها معاوية(٣).

الحكمة من زواج النبي (ﷺ) بها:

من خلال ما سبق يتضح لكل منصف أسباب زواج النبي (ﷺ) من أم المؤمنين السيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب الأموية رضي الله عنها، والتي منها:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها (٤/ ٢١) ح(٦٧٦٨)، وسكت عنه الحاكم والذهبي.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها (٤/ ٢٣) ح(٦٧٧١)، وسكت عنه الحاكم والذهبي.

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٨)، كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين (ص: ٤٥).

١- تأليف القلوب بين العرب بالمصاهرة، فلم يتألم أبو سفيان والدها من زواجها من النبي (ﷺ)، ويتضح من ذلك من رده عندما علم بنكاحها.

روى الحاكم عن عبد الواحد بن أبي عون، قال: لما بلغ أبا سفيان بن حرب، نكاح النبي (ﷺ) ابنته، قال: «ذاك الفحل لا يقرع أنفه»(١).

٢- مكآفأة ربانية على ما قابلته من إيذاء ومحن شديدة من والدها وزوجها بسبب إسلامها، فوالدها قائد لجيوش الكفر في ذلك الوقت، وزوجها عبيد الله بن جحش خرج معها من مكة مهاجرًا إلى الحبشة، وافتتن هناك، فارتد وتنصر، وقاومته، وما استطاع أن يصرفها عن دينها حتى مات نصرانيًا، وثبتت هي على دينها وهجرتها، فكانت بلا زوج، ووالدها هو القائد الذي يحارب الإسلام، وكذا كل عشيرتها، فأصبحت بلا زوج، ولا أب، ولا عشيرة، فخطبها وتزوجها رسول الله (ﷺ) من باب رد الاعتبار، وتخفيفاً لها لما واجهته من محن.

وقال ابن كثير رحمه الله: قال الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن زهير، عن إسماعيل بن عمرو، «أن أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت: ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي جارية يقال لها: أبرهة، كانت تقوم على ثيابه ودهنه، فاستأذنت علي، فأذنت لها فقالت: إن الملك يقول لك: إن رسول الله (ﷺ) كتب إلي أن أزوجكه، فقلت: بشرك الله بالخير، وقالت: يقول لك الملك: وكلي من يزوجك، قالت: فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص، فوكلته، وأعطيت أبرهة سوارين من فضة، وخدمتين من فضة كانتا علي، وخواتيم من فضة كانت في كل أصابع رجلي؛ سرورًا بما بشرتني به، فلما أن كان من العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب، ومن

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها (٤/ ٢٤) ح(٦٧٧٣)، وسكت عنه الحاكم والذهبي.

كان هناك من المسلمين أن يحضروا، وخطب النجاشي وقال: الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم، أما بعد، فإن رسول الله (ﷺ) كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله (ﷺ)، وقد أصدقتها أربعمائة دينار، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم، فتكلم خالد بن سعيد فقال: الحمد لله، أحمده وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد، فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله (ﷺ) وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسول الله(ﷺ)، ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها، ثم أرادوا أن يقوموا فقال: اجلسوا، فإن من سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا»[(١)].

٣- زواجه (ﷺ) بالسيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان حفظ لها من الضّيعة وهي في بلاد نائية عن بلاد قومها، فقد تنصّر زوجها عبيد الله بن جحش بالحبشة ومات بها، وثبتت هي على عقيدتها، فلم يكن أجمل مما فعله رسول الله معها، وقد عقد عليها النبي وهي بالحبشة، ولم يدخل بها إلا بعد خيبر عام سبع، فكيف يكون هذا من رجل صار همه في النساء وإشباع رغباته الجنسية منهن؟!![(٢)].

٩- السيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها.

السيدة صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية، أم المؤمنين، تزوجها قبل إسلامها: سلام بن مشكم القرظي، ثم خلف عليها: كنانة بن أبي الحقيق، وكانا من شعراء

(١) البداية والنهاية (٦/ ١٤٦).

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٣٠٧)

اليهود، فقتل كنانة يوم خيبر عنها، وسبيت، وصارت في سهم دحية الكلبي، فقيل للنبي (ﷺ) عنها؛ وأنها لا ينبغي أن تكون إلا لك، فأخذها من دحية، وعوضه عنها بما رضي به.

ثم إن النبي (ﷺ) لما طهرت تزوجها، وجعل عتقها صداقها، وكان ذلك بعد فتح خيبر سنة ٧ هـ.

وكانت شريفة، عاقلة، ذات حسب، وجمال، ودين – رضي الله عنها –، ورد لها من الحديث عشرة أحاديث، منها واحد متفق عليه، وتوفيت سنة اثنتين وخمسين من الهجرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ودفنت بالبقيع(١).

الحكمة من زواج النبي (ﷺ) بها:

تكمن الحكمة في زواج النبي (ﷺ) من السيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها في أمور منها:

١- تخليص النبي (ﷺ) لها من الأسر، وتصير حرة لوجه الله، ورعاية لحالتها النفسية، ومواساة لها بعد فقد وموت جميع عشيرتها على الكفر، فبزواجها من سيدنا محمد (ﷺ) أصبحت أمًّا للمؤمنين رضي الله عنها.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: «لما افتتح النبي (ﷺ)خيبر اصطفى صفية بنت حيي لنفسه، فخرج بها النبي (ﷺ) يردفها وراءه» ثم قال: " رأيت رسول الله (ﷺ) يضع رجله حتى تقوم عليها فتركب(٢).

---

(١) الطبقات الكبرى (٨/ ٩٨)، المستدرك على الصحيحين (٤/ ٣٠)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٣١)، كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين (ص: ٤٦).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها (٤/ ٣٠) ح(٦٧٨٦)، وسكت عنه الحاكم والذهبي.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: لما دخل رسول الله (ﷺ) بصفية بات أبو أيوب على باب النبي (ﷺ)، فلما أصبح فرأى رسول الله (ﷺ) كبر ومع أبي أيوب السيف فقال: يا رسول الله كانت جارية حديثة عهد بعرس، وكنت قتلت أباها وأخاها وزوجها، فلم آمنها عليك فضحك رسول الله (ﷺ) وقال له: «خيرا»(١).

وأخرج ابن سعد عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: لما دخلت صفية على النبي (ﷺ) قال لها: لم يزل أبوك من أشد يهود لي عداوة حتى قتله الله.

فقالت: يا رسول الله، إن الله يقول في كتابه: «ولا تزر وازرة وزر أخرى».

فقال لها رسول الله: اختاري.

فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك.

فقالت: يا رسول الله لقد هويت الإسلام، وصدقت بك قبل أن تدعوني، حيث صرت إلى رحلك، وما لي في اليهودية أرب، وما لي فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إلي من العتق،وأن أرجع إلى قومي.

قال: فأمسكها رسول الله (ﷺ) لنفسه، وكانت أمها إحدى نساء بني قينقاع أحد بني عمرو فلم يسمع النبي (ﷺ) ذاكرًا أباها بحرف مما تكره (٢).

٢- تحقيق الرؤيا التي رأتها في المنام وهي مع زوجها كنانة بن أبي الحقيق.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها (٤/ ٣٠) ح(٦٧٨٧)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٩٧).

روى ابن سعد في طبقاته عن أبي هريرة وأنس بن مالك رضي الله عنهما قالا: لما غزا رسول الله (ﷺ) خيبر وغنمه الله أموالهم سبى صفية بنت حيي وبنت عم لها من القموص فأمر بلالاً يذهب بهما إلى رحله، فكان لرسول الله (ﷺ) صفي من كل غنيمة، فكانت صفية مما اصطفى يوم خيبر، وعرض عليها النبي (ﷺ) أن يعتقها إن اختارت الله ورسوله، فقالت: أختار الله ورسوله، وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها مهرها، ورأى بوجهها أثر خضرة قريبًا من عينها فقال:

ما هذا؟ قالت: يا رسول الله رأيت في المنام قمرًا أقبل من يثرب حتى وقع في حجري، فذكرت ذلك لزوجي كنانة، فقال: تحبين أن تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من المدينة؟ فضرب وجهي واعتدت حيضة، ولم يخرج رسول الله (ﷺ) من خيبر حتى طهرت من حيضتها.

فخرج رسول الله (ﷺ) من خيبر ولم يعرس بها، فلما قرب البعير لرسول الله (ﷺ) ليخرج وضع رسول الله (ﷺ) رجله لصفية لتضع قدمها على فخذه، فأبت، ووضعت ركبتها على فخذه، وسترها رسول الله (ﷺ) وحملها وراءه، وجعل رداءه على ظهرها ووجهها، ثم شده من تحت رجلها، وتحمل بها، وجعلها بمنزلة نسائه، فلما صار إلى منزل يقال له تبار على ستة أميال من خيبر مال يريد أن يعرس بها، فأبت عليه، فوجد النبي (ﷺ) في نفسه من ذلك، فلما كان بالصهباء – وهي على بريد من خيبر – قال رسول الله (ﷺ) لأم سليم: عليكن صاحبتكن فامشطنها، وأراد رسول الله (ﷺ) أن يعرس بها هناك.

قالت أم سليم: فأخذت كسائين أو عباءتين فسترت بينهما إلى شجرة فمشطتها وعطرتها.

قالت أم سنان الأسلمية: وكنت فيمن حضر عرس رسول الله (ﷺ) بصفية مشطناها وعطرناها، وكانت جارية تأخذ الزينة من أوضإ[1] ما يكون من النساء، وما وجدت رائحة طيب كان أطيب من ليلتئذ، وما شعرنا حتى قيل رسول الله (ﷺ) يدخل على أهله وقد نمصناها، ونحن تحت دومة[2]، وأقبل رسول الله (ﷺ) يمشي إليها، فقامت إليه، وبذلك أمرناها، فخرجنا من عندهما،وأعرس بها رسول الله(ﷺ) هناك وبات عندها، وغدونا عليها وهي تريد أن تغتسل، فذهبنا بها حتى تواريا من العسكر فقضت حاجتها، واغتسلت، فسألتها عما رأت من رسول الله (ﷺ) فذكرت أنه سر بها، ولم ينم تلك الليلة، ولم يزل يتحدث معها. وقال لها: ما حملك على الذي صنعت حين أردت أن أنزل المنزل الأول فأدخل بك؟ فقالت: خشيت عليك قرب يهود، فزادها ذلك عند رسول الله (ﷺ)، وأصبح رسول الله(ﷺ) فأولم عليها هناك، وما كانت وليمته إلا الحيس[3]، وما كانت قصاعهم إلا الأنطاع[4]، فتغدى القوم

(١) أوضأ : أحسن . النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٩٥).

(٢) دومة: الدومة واحدة الدوم، وهي ضخام الشجر، وقيل: هو شجر المقل. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٤١).

(٣) الحيس:- بحاء مهملة مفتوحة فتحتية ساكنة فسين مهملة-: تمر ينزع نواه ويدقّ مع أقط، ويعجنان بالسّمن باليد حتى يبقى كالثّريد، والأقط شيء يعقد من اللّبن، فالحيس هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٦٧)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٤٠٤)، (٦/ ٢٠٤).

(٤) الأنطاع: مفردها النطع، وهو : المتخذ من الأديم معروف، وفيه أربع لغات: فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها، والجمع أنطاع ونطوع. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٥/ ٤٩٢).

يومئذ، ثم راح رسول الله (ﷺ) فنزل بالقصيبة [1] وهي على ستة عشر ميلاً[2].

٣- زواجه (ﷺ) بصفية بنت حيي بن أخطب، لأنها كانت في سبي خيبر، فلما أخبر رسول الله (ﷺ) بها اصطفاها لنفسه، ضنا بكرامتها، ومنزلتها في قومها، فأعتقها وتزوجها بعد ما انقضت عدتها، وأحسن إليها غاية الإحسان في عشرتها، وكثيرا ما كان ينتصر لها عند ما تبدر من بعض أزواجه بادرة في النيل منها، وهذه غاية الإنسانية والإحسان لامرأة طالما نال النبي والمسلمين من قومها شر كثير، ولم يألو جهدًا في محاربة دعوة الإسلام[3].

لقد وقعت السيدة صفية رضي الله عنها في سهم رسول الله (ﷺ) من غنائم خيبر، فنظر رسول الله (ﷺ) في شأنها، فوجدها من علية القوم، وقد وقعت أسيرة، وهي مجروحة بفقد أبيها وزوجها، وفقد بعض أقربائها، فتحركت النخوة في نفس رسول الله (ﷺ)، وهي نخوة عالية كما هي عادته في مواقفه، فرأى(ﷺ) أن يرحم عزيزة قوم ذلت بالأسر، وحزنت لفراق أبيها، فما كان من النبي(ﷺ) إلا أن أعتقها ثم تزوجها.

وهذا عمل قد حظي بإعجاب الكتاب والمؤرخين من المسلمين، ومن اليهود على السواء.

---

(١) القصيبة: موضع بين المدينة وخيبر، نزله رسول الله (ﷺ)، عند عودته من خيبر، يقع بين المدينة وخيبر، ويبعد عن المدينة ب ٩٤ كيلاً، وعن خيبر ب ٤٨ كيلاً على الطريق. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ٢٢٧).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٩٥).

(٣) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٣٠٧).

وبهذا الحماس نفسه أظهر الكثيرون من المنصفين رأيهم على هذا النحو، وأبانوا عن إعجابهم بفعل النبي (ﷺ)، واتخاذه هذا الموقف من صفية رضي الله عنها، مع علمه الأكيد بخلائق اليهود التي لا يؤتمنون معها على شيء(١).

لقد خيَّر الرسول (ﷺ) السيدة صفية رضي الله عنها بين أن يعتقها ويتزوجها، أو يعتقها وتعود إلى أهلها معززة مكرمة، كما كانت تعيش قبل موقعة خيبر، ولكنها بعد أن شاهدت معاملة الرسول (ﷺ)الكريمة الرحيمة الرقيقة، قررت بلا تردد الزواج من الرسول (ﷺ)، وكانت الزوجة التاسعة للرسول (ﷺ)(٢).

٤- حسن التصرف من النبي (ﷺ) في قطع دابر الغيرة والخصوم بين نسائه (ﷺ)، وكيفية التصرف عند مواجهة المعضلات والمشكلات في البيوت.

فقد كانت السيدة صفية رضي الله عنها تتعرض في حياة النبي (ﷺ) لبعض المضايقات بالألفاظ التي تؤلمها، كأن يقال لها: إن أباك يهودي، أو أمك يهودية، وكانت تتألم من ذلك ألمًا شديدًا، وتشكو إلى النبي (ﷺ) ذلك.

عن أنس بن مالك ﷺ، قال: بلغ صفية أن حفصة، قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي (ﷺ) وهي تبكي، فقال: «ما يبكيك» ؟ فقالت: قالت لي حفصة: إني بنت يهودي، فقال النبي (ﷺ): «وإنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟» ثم قال: «اتقي الله يا حفصة» (٣).

---

(١) موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام(٦/١٦٤) بتصرف.

(٢) زوجات الرسول بين الحقيقة والافتراء ، د/ نبيل لوقا بباوي، دار البباوي، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، (ص١٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب المناقب، باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (٥/ ٧٠٩) ح(٣٨٩٤)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ،

انظر إلى هذا الخلق العالي الذي صدر من رفيع المقام (ﷺ)، وتتجلى فيه أخلاقه (ﷺ) الحميدة في حسن التصرف، وقطع دابر الخصوم.

١٠- السيدة ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها.

السيدة ميمونة أم المؤمنين بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية، زوج النبي (ﷺ)وأخت أم الفضل زوجة العباس، وخالة خالد بن الوليد، وخالة ابن عباس، وكان مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي تزوج ميمونة في الجاهلية ثم فارقها، فخلف عليها أبو رهم بن عبد العزى بن أبي قيس من بني مالك فتوفي عنها، فتزوجها رسول الله (ﷺ)، زوجه إياها العباس بن عبد المطلب، وكان يلي أمرها، وهي أخت أم الفضل بنت الحارث الهلالية لأبيها وأمها، وتزوجها رسول الله بسرف على عشرة أميال من مكة[1]، وكانت آخر امرأة تزوجها رسول الله (ﷺ) وذلك في شوال سنة سبع من الهجرة.

وتزوجها رسول الله (ﷺ)على مهر خمس مائة درهم، وكان اسم ميمونة برة فسماها رسول الله (ﷺ)ميمونة، وقال عنها السيدة عائشة رضي الله عنها: إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم، وقال عنها يزيد بن الأصم: كان مسواك ميمونة بنت

=وأخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب مناقب الصحابة، باب ذكر تعظيم النبي ﷺ صفية ورعايته حقها (١٦/ ١٩٣) ح(٧٢١١)، واللفظ للترمذي.

(١) سَرِف بفتح السين وكسر الراء، وفاء: واد متوسط الطول من أودية مكة، يأخذ مياه ما حول الجعرانة شمال شرقي مكةثم يتجه غربًا، وبه مزارع يمر على ١٢ كيلاً شمال مكة، وحيث يقطع الطريق هناك، يوجد قبر السيدة ميمونة أم المؤمنين على جانب الوادي الأيمن، وقد شمل هذا المكان اليوم العمران فقامت فيه أحياء جميلة فيها دارات على طابقين وثلاثة، وأصبح كثير من الأراضي الزراعية يعمر بيوتًا، وفي سرف أعرس رسول الله ﷺ بميمونة أم المؤمنين مرجعه من مكة حين قضى نسكه. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ١٥٦)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ١٣٩). ١٥٦).

الحارث زوج النبي (ﷺ) منقعًا في ماء، فإن شغلها عمل أو صلاة، وإلا أخذته فاستاكت به.

رُوي لها: سبعة أحاديث في (الصحيحين)، وانفرد لها البخاري بحديث، ومسلم بخمسة، وجميع ما روت: ثلاثة عشر حديثًا.

وتُعد السيدة ميمونة رضي الله عنها آخر نسائه تزويجًا وموتًا، توفيت وصلى عليها ابن عباس بسرف عام ٥١ هـ، وقال ابن عباس لمن يحملون نعشها: إذا رفعتم نعشها فلا تزعزعوها ولا تزلزلوها فإنه كان للنبي (ﷺ) تسع نسوة كان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة، ارفقوا بها، فإنها أمكم(١).

الحكمة من زواج النبي (ﷺ) بها:

تكمن الحكمة من زواج النبي (ﷺ) بها في عدة نقاط منها:

١- أنها هي التي وهبت نفسها لرسول الله (ﷺ)، وكانت قبله متزوجة باثنين: مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي تزوجها في الجاهلية ثم فارقها، فخلف عليها أبو رهم بن عبد العزى فتوفي عنها، فوهبت نفسها للنبي (ﷺ).

روى ابن سعد عن عكرمة أن ميمونة بنت الحارث وهبت نفسها لرسول الله (ﷺ)(٢).

وقال ابن عساكر عند الترجمة لها: وهي من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله (ﷺ) (٣).

---

(١) الطبقات الكبرى (٨/ ١٠٤)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٣٨).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ١٠٨).

(٣) كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين (ص: ٤٧).

وقال ابن هشام عند الترجمة لها: إنها **التي** وهبت نفسها للنبي (ﷺ)، وذلك أن خطبة النبي (ﷺ) انتهت إليها وهي على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(١).

٢- تقوية روابط القرابة بالمصاهرة، فهي ميمونة بنت الحارث أخت لبابة بنت الحارث زوج العباس عم النبي (ﷺ)، وخالة ابن عباس رضي الله عنهما، وكانت أختها لأمها أسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبي طالب ﷺ، وكذا أختها لأمها سلمى بنت عميس وكانت تحت حمزة بن عبد المطلب ﷺ، وتُعد السيدة ميمونة رضي الله عنها خالة خالد بن الوليد ﷺ.

٣- إيناسًا لها رضي الله عنها من الوحشة والوحدة، وتخليصًا لها من الترمل بعد موت زوجها أبي رهم بن عبد العزى.

٤- زواجه (ﷺ) من السيّدة ميمونة بنت الحارث الهلالية كان لتوثيق العلاقة بينه وبين قبيلة من أعلم قبائل العرب وأشرفها، وقد زوجها إياه عمه العباس وأصدقها عنه في عمرة القضاء، ودخل بها بعد أن حلّ(٢).

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٥٠).

وانظر سيرة ابن هشام (٢/ ٦٤٦)، أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل (ص: ٣٧٦)، عيون الأثر (٢/ ٣٧٦).

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٣٠٧) بتصرف.

١١- السيدة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها.

زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف، وهي أم المساكين، كانت تسمى بذلك في الجاهلية، لرحمتها بالمساكين، ورقتها عليهم، وكانت تحت الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، فطلقها، وتزوج بها عبيدة بن الحارث، وقتل يوم بدر شهيدًا(١).

وكانت بدر في السنة الثانية للهجرة، وبدأت قوافل الشهداء تترى بعد فرض الجهاد على المسلمين، وكان أول بطل قرع اسمه مسامعنا في غزوة بدر هو: عبيدة بن الحارث رضي الله عنه، فقد قال المشركون عند بدء الغزوة: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال النبي (ﷺ): قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي...، فبارز عبيدة وكان أسن القوم، عتبة بن ربيعة، واختلفا بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه، ومات أبو عبيدة ﷺ شهيدًا، فقال رسول الله(ﷺ): أشهد أنك شهيد(٢).

وقيل: كانت تحت عبد الله بن جحش، فاستشهد في أحد، فتزوجها رسول الله (ﷺ) سنة ٤ هـ، وماتت بعد الزواج بشهرين أو ثلاثة أشهر(٣).

وتزوج بها النبي (ﷺ) على رأس أحد وثلاثين شهرًا من الهجرة، ومكثت عنده على الصحيح ثمانية أشهر، وتوفيت رضي الله عنها في آخر ربيع الآخر على رأس تسع

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٨).
(٢) فقه السيرة النبوية لمنير الغضبان (ص: ٦٥٧).
(٣) الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية (٣/ ١٢٦٠).

وثلاثين شهرًا من الهجرة، وصلى عليها النبي (ﷺ)، ودفنت بالبقيع، وكان سنها يوم توفيت نحو ثلاثين سنة [1].

الحكمة من زواج النبي صلى الله عليه وسلم بها:

تكمن الحكمة من زواج النبي (ﷺ) بالسيدة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها فيما يأتي:

١- رعايته (ﷺ) لها بعد ما رُملت، واستشهد أبو عبيدة ﷺ في بدر، وكفالة لولدها اليتيم.

قال منير الغضبان: وإذا كان عبيدة بن الحارث ﷺ ذهل عن حليلته، فداءً لله ورسوله، فلن يذهل رسول الله (ﷺ) عن ولد عبيدة وزوجه.

من أعظم الوفاء لهذا البطل العظيم أن يتقدم رسول الله (ﷺ) من حليلته وزوجه زينب بنت خزيمة بعد انقضاء عدتها خاطبًا لها، ويتزوجها ويرعاها مع ولدها.

وشاءت إرادة الله تعالى أن يسجل هذا الوفاء في صحيفة نبيه (ﷺ)، لأنها لم تلبث عنده أشهرًا حتى ماتت رضي الله عنها وأرضاها مع الصالحات[2].

٢- تكريمًا للشهادة في سبيل الله، فأفضل مكآفأة حصلت عليها زينب بنت خزيمة رضي الله عنها بعد وفاة زوجها هي زواجها من سيد البشرية كلها رسول الله (ﷺ).

---

(١) سير أعلام النبلاء (سيرة ١/ ٤٦٥)، (٢/ ٢١٨)، فقه السيرة النبوية لمنير الغضبان (ص: ٦٥٧).

(٢) فقه السيرة النبوية لمنير الغضبان (ص: ٦٥٧).

وصدق الله تعالى إذ يقول: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا} (١).

٣- زواجه (ﷺ) بالسيدة زينب بنت خزيمة التي كانت تلقب بأم المساكين لكثرة تصدقها عليهم وبرها بهم تكريم لهذا الخلق الكريم فيها، وتكريم للشهادة في شخص زوجها الذي توفي عنها(٢).

وعن حكمة التعدد بالنسبة لسيدنا رسول الله (ﷺ)يحدثنا الشيخ محمد الغزالي فيقول:

اختار عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما على صغر سنها، واختار حفصة بنت عمر رضي الله عنهما على قلة وسامتها.

ثم اختار أمّ سلمة رضي الله عنها أرملة قائده الذي استشهد في سبيل الله، وعانت معه امرأته ما عانت في الهجرة إلى الحبشة وفي الهجرة إلى المدينة.

ومن قبل هؤلاء كانت معه سودة رضي الله عنها وهي امرأة نزلت عن حظها من الرجال لكبرها وعزوفها.

والعيشة مع أولئك الأربع لا تقوم على متاع ملحوظ ودنيا سارة.

ولو قد قامت على ذلك ما كان على رسول الله (ﷺ) من حرج، فلأي مؤمن أن يستمتع بأربع نسوة، وتحقيق العدل متيقن في سيرة رسول الله (ﷺ).

قد تقول: لكن الرسول (ﷺ) مات عن تسع نسوة فكيف وقع هذا، ولم نال ما لم ينل غيره؟!.

أليس هذا فتحًا لباب التشهّي، وإجابة لدواعي الملذة؟.

---

(١) سورة النساء الآية (٩).

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٣٠٦)

ونقول: أين مكان المتعة في حياة رجل لم يسترح يومًا من عناء الكفاح الموصول والجهاد المضني؟.

إن حملة الرسالات الإنسانية المحدودة تعييهم هموم العيش ومشكلات الإقدام عليه، بل أخفاه في نفسه خوفا من مغبته، فسيقول الناس: تزوّج امرأة ابنه... وهي لا تحلّ له!!.

ولكن هذا الذي سيقوله الناس هو ما أراد الله هدمه، ويجب على النبي (ﷺ) أن ينفذه دون تهيب.

وقد تريّث النبيّ (ﷺ) في إنفاذ أمر الله، ولعلّه ارتقب من الله- لفرط تحرجه- أن يعفيه منه، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فعند ما جاء زيد يشكو امرأته، ويعرض نيته في تطليقها، قال له النبي (ﷺ): «أمسك عليك زوجك واتق الله».

عند ذلك نزل الوحي يلوم الرّسول (ﷺ) على توقّفه، ويعتب عليه تصرّفه، ويحضّه على إمضاء رغبة زيد في فراق امرأته، ويكلّفه بتزوجها، ولو قال الناس:

تزوّج امرأة ابنه، فإنّ ادّعاء البنوة لون من التزوير، تواضع عليه العرب مراغمة للحق، وينبغي أن يقلعوا عنه، وأن يهدروا نتائجه، وليكن عمل الرسول (ﷺ) بنفسه، وبمن التصق به أول ما يهدم مآثر الجاهلية في العرف الشائع.

هذه هي القصة كما بدأ القران الكريم يرويها:{ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا} (١).

(١) سورة الأحزاب الآية (٣٧).

وقد سبق أن ذكرنا قول الشيخ الغزالي عند حكمة زواج النبي (ﷺ) من السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها.

أما السيدات الأخريات اللاتي بنى بهن الرسول (ﷺ)، فهن نساء تنميهن أصول عريقة حتى ليعتبرن بنات ملوك!.

وقد أحاطت بهن- عند دخول الإسلام- ملابسات، لا يليق أن يجهلها قائد دعوة.

فأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، سيد قريش وقائدها عشرين سنة في حرب الإسلام أو يزيد، أئذا أسلمت وراغمت أباها وقومها في ذات الله، ثم هاجرت إلى الحبشة تاركة مكة حيث يسود أبوها وتعلو كلمته؟.

أترى مثل هذه السيدة إذا مات زوجها تترك لمن يخدش مكانها؟.

لقد ضمّها النبي (ﷺ)إلى زوجاته، إعزازا لشأنها وتقديرًا لصنيعها.

والسيدة صفية بنت حيي، كان أبوها ملك اليهود، وفي الصراع بين بني إسرائيل والإسلام هلك أبوها وأخوها وزوجها، ووقعت في سهم جندي، لا يعرف إلا أنها أسيرة حرب، من حقه بملك اليمين أن يسلك معها كيف يشاء.

فإذا رقّ النبي (ﷺ) لحالها، ووهبها حريتها، ثم جبر كسرها، وقدّر ماضيها، فتزوجها ليستطيع- بإحسانه وإكرامه- تطييب خاطرها، فهل ذلك مما يلام عليه؟.

وجويرية بنت الحارث، إنّ أباها زعيم بني المصطلق، وقد انتهت حربه مع المسلمين بهزيمة نكراء، وكادت قبيلته تهون وتذل عقب هذه الهزيمة، فواسى النبي (ﷺ) القائد المهزوم، ثم أصهر إليه، حتى يشعر المسلمين بما ينبغي لأتباعه من كرامة ومعونة، وقد وقع ما أحبّه النبي (ﷺ)، فعادت الحرية إلى القبيلة رجالا ونساء، إذ تحرج المسلمون أن يسيئوا إلى قوم تزوج النبي (ﷺ) ابنتهم.

وقد يسبق إلى أذهان البعداء عن السيرة أنّ حياة رسول الله (ﷺ) الخاصة قامت على التوسع في المطاعم والمشارب... والمتاع الأخرى(١).

والصورة التي قد ترتسم بادئ الأمر لرجل عنده نساء أنه مغمور بالسعادة المادية، يقوم بيته على الموائد الحافلة باللحوم والفواكه، ويرتوي من الأشربة التي تسري في أوصاله بالنشوة، ثم يتقلب بين أحضان البيضاوات والشقراوات، ويصبح يستقبل الدنيا بعد ذلك خالي البال!!.

وقد تكون هذه الصورة مساوية أو مقاربة لما يدور في قصور الملوك، لكن حذار أن تسفّه نفسك فتحسب شية من هذا العيش الرخيّ في بيوت محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه.

انتقل على عجل إلى لون آخر من الحياة الخشنة؛ لترى فيه رجلا تعلقت همته بالحق واحده، فهو ينتعش بمعرفته، ويجتهد لجمع الناس عليه، وقرة عينه في خطوة تقربه من غايته شبرا، أما أهواء الدنيا فهي تحت قدميه ودبر أذنيه.

إذا استطاعت قذائف المدافع على ظهر الأرض أن تبلغ النجوم البعيدة، ما استطاعت مغريات الحياة أن تقترب من قلب محمد الزكي النقي (ﷺ) (٢).

ذاك إنسان اصطفته العناية؛ فهو يحلّق في مدى اخر يقول فيه: «ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»(٣).

---

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٤٣٩).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ٤٤١)

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الزهد ، باب ما جاء في أخذ المال من حديث ابن مسعود رضي الله عنه (٤/ ٥٨٨) ح(٢٣٧٧)، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح».

يربط همم البشر بالمثل العليا، وما تصير إليه عند الله، فيقول (ﷺ): «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها»(١).

وحياته مع زوجاته نهج من الشظف لا يطيقه أحد(٢).

إنه (ﷺ) يعيش في الدنيا على أقل القليل، لأن الكثير سيسأل عنه الشخص يوم القيامة.

قال تعالى لحبيبه (ﷺ):{وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى * وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى } (٣).

قلت: هؤلاء هن نساء النبي (ﷺ) عددهن إحدى عشرة امرأة، وكلهن دخل بهن، ولذلك يعدون أمهات المؤمنين، ولا يتزوجن أحدًا بعده.

ولذلك قال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ }(٤).

وقال في منع زواجهن من بعده:

{وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا }(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، من حديث سهل بن سعد الساعدي (٤/ ١١٩) ح(٣٢٥٠).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ٤٤١).

(٣) سورة طه الآيتان (١٣١-١٣٢).

(٤) سورة الأحزاب الآية(٦).

(٥) سورة الأحزاب الآية(٥٣).

والصحيح أن عدد أزواج النبي (ﷺ) ثلاث عشرة، هن أمهات المؤمنين، ومات عن تسع، إذ ماتت في حياته خديجة وزينب أم المساكين.

وتزوج باثنتين لم يدخل بهما، وهما: أسماء بنت النعمان الكندية، تزوجها فوجد بها بياضًا في إبطها، فسرحها بمعروف، ومتعها بعد أن طلقها، وقد كانت كندية، وقبائل كندة كانت بعيدة عن المدينة المنورة، وقد أسلمت، فكان لا بد أن يربط النبي (ﷺ) برباط بينها وبينه، ليؤنسها بهذه المصاهرة في هذا البعد المترامي.

والثانية: امرأة من سلالة النعمان اسمها أميمة بنت النعمان بن شرحبيل، وقد أراد النبي (ﷺ) أن يتزوجها، لأنها من أطراف الجزيرة العربية في الجنوب، وهو عليه الصلاة والسلام يريد أن يقرب البعيد، ويزيل الوحشة، وقد كانت المصاهرة رباطًا وثيقًا بين كبراء القبائل، تنهى حربًا،أو تدفع قتالاً، وما كان على النبي (ﷺ) من غضاضة في أن يوثق ما بينه وبين القبائل بهذه المصاهرة.

ويروى في زواجه منها: أنه كان (ﷺ) إذا تزوج امرأة طلب منها أن تهب نفسها له (ﷺ) استيثاقًا من رضاها به زوجًا، فقد كان يعقد أولياء المرأة، وخشية ألا يكون ذلك برضا حر فيه اختيار كامل، فلما اختلى بها قال لها: هبي نفسك لي اعترتها نعرة جاهلية، فقالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة، ثم قالت: أعوذ بالله،فقال (ﷺ): لقد عذت بمعاذ عظيم، فطلقها وسرحها سراحًا جميلاً(١).

فهذه زيجات النبي (ﷺ) بلغت عدتهن ثلاثة عشر من الأزواج، ماتت اثنتان في حياته الكريمة الطاهرة، وهما: أم المؤمنين خديجة أفضلهن وأكثرهن عطفًا، وقد سُمى عام موتها مع عمه الحاني الكريم عام الحزن، والثانية زينب أم المساكين رضى الله عنها.

---

(١) خاتم النبيين (ﷺ) (٣/ ١١٠٣).

واثنتان لم يدخل بهما وطلقهما قبل الدخول لعيب جسماني في إحداهما، ولنفرة من الثانية بدت في قولها، وقد عاشت إلى ستين عامًا بعد الهجرة، وكانت تسمى نفسها الشقية لحرمانها من جوار أكرم من في الوجود من خلق الله سبحانه وتعالى.

وقد كان يعتزل بعضهن أحيانًا، ويرجئ الاتصال بهن أحيانًا، وعلى أي حال فقد انتهى الحل له (ﷺ) بهذا العدد، إذ تحققت فيه كل المقاصد الاجتماعية التي تتعلق بالدعوة.

قال تعالى في ذلك:{تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا* لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا}(١).

وإن هذا النص الكريم يدل على أمرين جليلين:

أولهما: منع الحل بعد هذا العدد، إذا استوفى التعدد بالنسبة لتعدد النبى (ﷺ) مقصده، وإن هذا العدد خاص بالنبي (ﷺ)، فقد قال تعالى من قبل في تحليل هذا القدر من العدد: { خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا }(٢).

ثانيهما: أن النبي (ﷺ) لم يكن يتصل بنسائه جميعا كل ليلة، كما ادعى أعداء الإسلام، وبنوا على ذلك كذبهم بأن النبي (ﷺ) كان شهوانيًا،فالآية الكريمة

(١) سورة الأحزاب الآيتان(٥١،٥٢).
(٢) سورة الأحزاب الآية (٥٠).

ترد هذا، فقد كان النبي (ﷺ) يرجىء من يشاء منهن، ويؤوى إليه من يشاء، ويعتزل بعضهن، ويبتغى من يعتزل من بعد ذلك، مما ينافى ما ادعاه أعداء الإسلام من أنه عليه الصلاة والسلام كان يمر عليهن، ويتصل بهن واحدة واحدة كل ليلة، مما فتح الباب للمغرضين والكذابين والمنحرفين ممن تسموا بأسماء المسلمين.

المطلب التاسع

فوائد وأغراض تعدد الزوجات لسيدنا رسول الله (ﷺ).

بعد هذا العرض لزوجات النبي (ﷺ)، والحكم الخاصة لكل زوجة تزوجها (ﷺ)، اتضح لكل عاقل منصف مفكر يبحث عن الحقيقة، الأغراض والفوائد التي من أجلها تزوج النبي (ﷺ) هذا العدد من النساء، ويمكن تلخيصها في الآتي:

١- إيواء الضعيفات من أزواج المهاجرين اللائي لا مأوى لهن في هذه الغربة التي انقطعن فيها عن أهليهن.

٢- ربط الصلات بينه وبين كبار أصحابه، كأبي بكر وعمر وغيرهما.

٣- منع تحكم الوثنيين فيمن تربطهم رابطة نسب من نساء المهاجرين الذين يقتلون، أو يموتون، أو يرتدون وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك في قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}(١).

(١) سورة الأحزاب الآية (٥٠).

ويستفاد من هذا النص: أن زواج المهاجرات كان للرحم التي تربطه بهن من عمومة، أو خؤولة، وأن ذلك يشمل قرابته لقريش، فلا يضيعهن عند موت أزواجهن شهداء، بل لا بد أن يتولى هو إيواءهن في ظله الظليل.

٤- استجابة لأمر الله تعالى: فالمتمعن يرى أن بعضهن تزوجهن النبي (ﷺ) بأمر ربه تبيينًا للشرع، وتنفيذًا لأحكامه، وقد تعرض النبي (ﷺ) بأمر ربه لمجابهة العرب فيما كانوا يألفون، ويرونه أمرًا طبيعيا، لا يخالف، وقد تأثر به بعض المؤمنين، حتى إن النبي (ﷺ) قد حدث منه ذلك قبل الحكم بالمنع، فبين الله تعالى أنه ضد الحقيقة، وأن البنوة تكون من الصلب، لا من الادعاء.

وأشار سبحانه وتعالى إلى أنه إدخال في النسب ما ليس منه، إذ قال سبحانه: {ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} (١).

٥- أن يتولى نساء النبي (ﷺ) تعليم نساء المسلمين في أمور دينهن، فما كان النساء بعد النبي (ﷺ) في عهد الصحابة والتابعين، يغشين مجالس العلم، يتعلمن أمور الدين، بل كن يذهبن إلى النبي (ﷺ) يسألنه في حياته، ومن بعده كن يسألن أزواجه أمهات المؤمنين، كعائشة وأم سلمة وغيرهما ممن عمرن بعد الرسول (ﷺ)، ولعله من فضول القول أن نقول إن كثيرًا من الأحكام الخاصة بالمرأة،رُويت عن أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها وعن أبيها الصديق.

وإن حفصة أم المؤمنين كانت الأمينة على المصحف الذى انتهت كتابته في عصر أبيها الإمام الفاروق ﷺ، وجزاه عن الإسلام خيرًا.

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٥).

ولعل الأمر الإلهي بألا ينكحن ، كان لهذا المعنى، وليتفرغن لتعليم النساء أحكام الدين، وفضائله، وآدابه، وروحه، ومعناه، وأخبار النبي (ﷺ) في أهله، وفى ذاته الطاهرة، وإنك لترى من ذلك الشيء الكثير في رواية عائشة رضى الله عنها، فقد كان لها ذكاء يندر في نساء العرب، وإنه قد نزكى ما روى من أنه يؤخذ منها نصف الدين، وهو النصف الخاص بأحكام النساء.

٦- أن نساء النبي (ﷺ) كن يتخذن قدوة حسنة للنساء في عفتهن، واحتسابهن، وآدابهن، لأنهن أخذن بآداب النبوة، والمرأة تتأثر بالمرأة أكثر مما تتأثر بالرجال، وتصلح بصلاح صواحبها من النساء، وتفسد بفساد صواحبها منهن، فالمرأة تصلح المرأة أو تفسدها، وإنا لنرى ذلك واضحًا اليوم، وإنه كان كذلك في الماضي، فالإنسان ابن الإنسان.

وإن الله تعالى تعهد نساء النبي (ﷺ) بالإرشاد، والتأديب، لأنهن الأسوة والقدوة.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا*وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا}(١).

(١) الآيات المباركات من سورة الأحزاب من (٢٨-٣٤).

خاتم النبيين ﷺ (٣/ ١١٠٤-١١٠٧) بتصرف واختصار .

لقد بيَّن الحافظ السيوطي فوائد تعدد زوجاته (ﷺ)، فقال:

منها: نقل محاسنه الباطنة فإنه (ﷺ) مكمل الظاهر والباطن.

ومنها: نقل الشريعة التي لم يطلع عليها الرجال.

ومنها: تشريف القبائل بمصاهرته.

ومنها: شرح صدره بكثرتهن عما يقاسيه من اعدائه.

ومنها: زيادة التكليف في القيام بهن مع تحمل اعباء الرسالة، فيكون ذلك أعظم لمشاقه، وأكثر لأجره.

ومنها: أن النكاح في حقه عبادة، قالوا: وقد تزوج أم حبيبة، وأبوها في ذلك الوقت عدوه، وصفية، وقد قتل أباها، وعمها، وزوجها، فلو لم يطلعن من باطن احواله على أن أكمل الخلق لكانت الطباع البشرية تفتضي ميلهن إلى آبائهن وقرابتهن.

وكان في كثرة النساء عنده بيان لمعجزاته، وكماله باطنًا كما عرفه الرجال منه ظاهرًا صلى الله عليه وسلم(١).

والعجب من هؤلاء المستشرقين المتعصبين، والمبشرين المحترفين أنهم إذا وقعوا على ما يرضي أحقادهم، ويشفي غليلهم من باطل الروايات ومتهافتها هلّلوا له وطبّلوا، وتجاهلوا البيئة وأحكامها، والعادات وسلطانها، إلى غير ذلك مما يتفيهقون به باسم العلم وقواعد البحث، ولم يعيروا نقد السند أو المتن أية أهمية، بينما يطيشون كثيرا في الحكم على روايات في غاية الصحة بأنها موضوعة، ولا حامل لهم في الحالين إلا الهوى والتعصب، والحقد الموروث، والتجني الاثم.

(١) الخصائص الكبرى (٢/ ٤٢٧).

وبعد: فلعلك- أيها القارىء الفطن- قد تيقنت أن ساحة الرسول الكريم (ﷺ) بريئة من كل ما زعموا، وأنه ليس بعد الحق إلا الضلال فأنى يؤفكون؟!![1].

والحمد لله رب العالمين، فقد ثبت لدى كل عاقل منصف بما لا يدع مجالاً للشك أن تعدد الزوجات وُجد في الشرائع السابقة، وكان مألوفًا لدى جميع الأنبياء والرسل وأممهم، وأن تعدد النبي (ﷺ) لم يكن النبي (ﷺ) فيه بدعًا من الرسل، بل هو تشريع من الله تعالى، وكان لغايات سامية، وأغراض إنسانية، يكمن من خلالها محبة الإسلام ورسوله (ﷺ)، لكن أعداء الدين يتناسون التعدد الموجود في سائر الشرائع، ويحاولون بأي وسيلة إلصاق التهم بالإسلام في شخص رسول الإسلام (ﷺ)، وهذا هو الحقد الدفين للإسلام يجعلهم لا يعترفون بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة.

وصل الله على نبينا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحابته الكرام البررة، وعلى التابعين، وتابعيهم، ونحن معهم برحمتك يآ أرحم الراحمين.

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٣٠٨).

الخاتمة

وتشتمل على النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

من خلال معايشتي مع تعدد الزوجات لسيدنا رسول الله (ﷺ)، وحكمة هذا التعدد، اتضح لي عدة نتائج منها:

١- إن تعدد الزوجات موجود ومشروع في الشرائع السابقة، كاليهودية والنصرانية، وأن الأنبياء والرسل كان لديهم عدد كبير من الزوجات والسراري، وأن تعدد النبي (ﷺ) بجوار تعددهم لا يساوي شيئًا.

٢- إن زواج النبي (ﷺ) من السيدة عائشة رضي الله عنها مع صغر سنها، لتحفظ عنه (ﷺ) الأحاديث، خاصة فيما يتعلق بشئون بيته (ﷺ)، فكما قالوا: التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، وبلغ جمله ما روته من الأحاديث(٢٢١٠) حديثًا، إضافة إلى ذلك فإن زواج الفتيات الصغيرات كان موجودًا في الشرائع السابقة.

٣- إنه (ﷺ) ظل عزبًا مدة خمسة وعشرين عامًا.

٤- إنه (ﷺ) لم يتزوج بكرًا سوى السيدة عائشة رضي الله عنها، مع ترغيبه للشباب بزواج الأبكار، وهذا ينفي عنه تهمة أنه كان مزواجًا ومحبًا للنساء.

٥- إنه (ﷺ) تزوج بامرأتين أكبر منا سنًا، وهما: السيدة خديجة بنت خويلد أكبر منه بخمسة عشر عامًا، والسيدة سودة بنت زمعة أكبر منه بخمسة أعوام.

٦- إنه (ﷺ) تزوج بأربع نسوة كن قد تجاوزن الخامسة والثلاثين، وهن: السيدة خديجة بنت خويلد(٤٠) سنة، والسيدة سودة بنت زمعة(٥٥) سنة، والسيدة زينب بنت جحش (٣٥) سنة، والسيدة أم حبيبة (٤٠) سنة.

٧- إنه (ﷺ) لم يتزوج قبل الخمسين سوى السيدة خديجة، أما باقي نسائه فقد تزوج بهن بعد تجاوزه سن الخمسين.

٨- تعدد زوجات النبي (ﷺ) كان جبرًا لخاطرهن، وإرضاءً لحالهن، ورعاية لهن ولأولادهن، ومراعاة لمصالحهن الاجتماعية والاقتصادية والنفسية.

٩- تعدد النبي (ﷺ) للزوجات يختلف تمامًا عن تعدد الملوك والسلاطين وأصحاب الأموال، فتعدد النبي (ﷺ) كان الغرض منه المواساة، ورعاية الأرامل والأيتام، وجبر الخاطر، ولم يمتلك العقارات والقصور حتى تعيش كل زوجة في قصر أو شقة مفروشة، بل كان لكل زوجة من زوجاته حجرة واحدة، لا تخرج منها إلا لحاجة، بجوار مسجده الشريف، وأن حالته المعيشية كانت قاصرة على التمر والماء، وأن أول زوجاته امرأة ثيبًا تزوجت قبله مرتين، وكانت تكبر عنه بخمس عشرة سنة، واستمر معها حتى جاوز الخمسين من عمره، وكانت زوجاته بعد ذلك كلهن ثيبات عدا عائشة رضي الله عنها، وكان أكثر أوقاته مشغولاً بأمور الدعوة، وتنظيم أمور المجتمع، وتجهيز الجيوش، إلى جانب الاهتمام ببيوته، ثم إذا جاء وقت الليل تعبد لله تعالى، وأكثر من القيام بين يدي الله الساعات الطويلة، فأين الوقت الذي يتفرغ فيه لإشباع شهوته الغريزية الجنسية لو كان شهوانيًا كما يدعون؟

أما تعدد الملوك والسلاطين وأصحاب الأموال فيكون الغرض منه الشهوة، فينتقي الأبكار الجميلات البيضاوات الشقراوات، ويجلسهن في القصور الفارهة، مع التمتع بملذات الطعام والشراب والسيارات، مع توفير كل أسباب الراحة المتاحة في دنيا الناس.

١٠- إن الإسلام حدَّ من تعدد الزوجات، فقد قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ}(١).

أي أن لداود عليه السلام تسع وتسعون امرأة، ثم قال: والظاهر أن شرع من تقدم قبلنا لم يكن محصورًا بعدد، وإنما الحصر في شريعة محمد (ﷺ)، لضعف الأبدان، وقلة الأعمار(٢).

١١- إن النبي (ﷺ) اختصه الله تعالى بعدة خصائص لا يشاركه فيها أحد، مثل زواج الهبة (بدون مهر)، والزواج من غير ولي ولا شهود ولا عقد، والزيادة في التعدد على أربع زوجات.

١٢- إن تعدد الزوجات لسيدنا محمد (ﷺ) يكمن في نقل نساءه لأمور الشريعة الخفية التي لا يطلع عليها إلا زوجاته الطاهرات كالجماع والجنابة والغسل إلى غير ذلك، علاوة على ذلك تشريف القبائل بمصاهرته مع رفعة درجته عند ربه لكثرة التكاليف بأعباء الحياة، ولظهور مناقبه ومعجزاته وكراماته صلى الله عليه وسلم، فالنكاح في حقه عبادة.

فكيف يقال بعد كل هذه الحقائق أن زواج النبي (ﷺ) كان زواج شهوة لا يقوم على أسس دينية؟

١٣- يُعد سيدنا محمدًا (ﷺ) أنقى وأطهر الناس في العالم كله بدليل أنه لا يختار لنفسه إلا الأرامل والعجائز والوحيدات اللاتي فقدن كل سند ومعين في الحياة.

---

(١) سورة ص:٢٣

(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ١٧٤).

١٤- إن الحكم التشريعية وراء كل زوجة من زوجاته (ﷺ) كلها تؤكد وتدلل على كمال نبوته ورسالته، وهي دلائل قاطعة، وبراهين ساطعة، على أنه لم يأت، ولن يأتي رجل مثل النبي (ﷺ) الذي ضحى بكل ما يملك مرضاة لله سبحانه، ثم حباً للإنسانية، وهذا يظهر في أنه (ﷺ) لم يتزوج بكرًا سوى السيدة عائشة، والأخريات كلهن أرامل ومسنات – فهل هذه شهوانية وأنانية؟ أم هذه قمة الإنسانية؟.

١٥- ينبغي على المشككين أن يعالجوا أذهانهم، ومستوى فكرهم، ويوسعوا أفق تصورهم، ويعودوا إلى رشدهم وصوابهم بدلاً من غيهم وضلالهم، فصاحب الحق حي ومنتصر، وصاحب الباطل زاهق وميت.

ثانيًا: التوصيات:

من خلال معايشتي مع شبهات أعداء الإسلام حول تعدد الزوجات لسيدنا محمد (ﷺ)، فإنني أوصي بالآتي:

١- حصر الشبهات التي تثار حول شخصه، وسنته، وزوجاته الطاهرات(ﷺ)، وحول الصحابة الكرام.

٢- دحض هذه الشبهات بالوسائل التكنولوجية الحديثة، حتى يعرف العامة والخاصة الطيب من الخبيث، والغث من الثمين، وليكن من ذلك من خلال القنوات الدينية، أو الفضائية التي يمتلكها رجال الأعمال، وتروج للطعن في الإسلام جملة وتفصيلاً.

٣- جعل صفحة رسمية تمثل الأزهر على مواقع التواصل الاجتماعي، والتي أصبح لها تأثيرًا على المستمعين أقوي من القنوات الفضائية وغيرها، ويشرف على هذه الصفحة هيئة كبار العلماء بمشيخة الأزهر، ويكون الغرض منها دحض هذه الشبهات بأسلوب سهل يتناسب مع العامة والخاصة.

٤- سعي اللجنة الدينية بمجلس الشعب لسن قانون يُجرم ويعاقب كل من يطعن في سنة النبي (ﷺ) خاصة، والإسلام عامة.

٥- وجود مقرر دراسي في مراحل الدراسة بالأزهر الشريف لدحض هذه الأكاذيب بدءً من المرحلة الإعدادية، وانتهاءً بمرحلة الدراسات العليا شاملاً لكل ما هو قديم وجديد من هذه الأكاذيب، وليكن تحت مسمي " الإسلام في نظر خصومه" إن صح التعبير، ويقرر فيه كل عام بما يتناسب مع كل مرحلة.

وصل الله على نبينا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحابته الكرام البررة، وعلى التابعين، وتابعيهم، ونحن معهم برحمتك يآ أرحم الراحمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة لبدر الدين الزركشي، مكتبة الخانجي – القاهرة، عام ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر، دار الفكر – دمشق، عام ١٤٠٦ هـ.
- الأساس في السنة وفقهها لسعيد حوى، طبع دار السلام بالقاهرة، عام ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.
- الإسلام في قفص الاتهام، د/ شوقي أبو خليل، طبع دار الفكر – دمشق، عام ١٤٢٥هـ –٢٠٠٤م
- أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل لابن حجر الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، عام ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- أم المؤمنين جويرية بنت الحارث لخالد الحمودي، طبع دار القاسم من على المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث.
- أم المؤمنين سودة بنت زمعة لخالد الحمودي، طبع دار القاسم من على المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث.
- البداية والنهاية لابن كثير، دار إحياء التراث العربي، عام ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨م.
- تعدد الزوجات بين حقائق التنزيل وافتراءات التضليل لمحمود محمد غريب، دار القلم للتراث – القاهرة، عام ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٤ م.

- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٤١٩ هـ.
- تفسير القرطبي، دار الكتب المصرية – القاهرة، عام ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- تفسير الألوسي، دار الكتب العلمية – بيروت، عام ١٤١٥ هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، عام ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- حاشية السيوطي على سنن النسائي للسيوطي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، عام ١٤٠٦ه – ١٩٨٦م.
- حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، د/ محمود حمدي زقزوق، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، عام ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي – بيروت، عام ١٤٠٥ هـ.
- خاتم النبيين (ﷺ) لأبي زهرة، دار الفكر العربي – القاهرة، عام النشر: ١٤٢٥هـ.
- الخصائص الكبرى للسيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت.
- دلائل النبوة للبيهقي، دار الكتب العلمية بيروت، القاهرة، عام ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- ذخيرة العقبى في شرح المجتبى للأثيوبي، دار المعراج الدولية، عام ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- الروض الأنف للسهيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،عام١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

- زوجات الرسول بين الحقيقة والافتراء، د/ نبيل لوقا، دار البباوي، القاهرة، عام ٢٠٠٤م.
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، عام ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- سنن أبي داود، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
- سنن الترمذي، دار الحديث بالقاهرة، عام ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م.
- سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، عام ١٤٠٦ ه- ١٩٨٦م.
- سير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة، عام ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- سيرة السيدة عائشة رضي الله عنها للندوي، دار القلم، عام ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصلابي، دار ابن الجوزي بالقاهرة، عام ١٤٣١ه-٢٠١٠م.
- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة لأبي شهبة، دار القلم، دمشق عام ١٤٢٧ هـ.
- السيرة النبوية لابن إسحاق، دار الفكر – بيروت، عام١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.
- السيرة النبوية لابن كثير، دار المعرفة، بيروت، لبنان، عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
- السيرة النبوية لابن هشام، مكتبة مصطفى الحلبي، عام١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.
- شرح السيوطي على مسلم، دار ابن عفان بالسعودية، عام ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

- صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، عام ١٤١٤ه – ١٩٩٣م.
- صحيح البخاري، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، دار العلم للملايين – بيروت، عام ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧ م.
- الطبقات الكبرى لابن سعد، دار صادر – بيروت.
- الطبقات الكبرى لابن سعد، مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- عيون الأثر لابن سيد الناس اليعمري، دار القلم، بيروت، عام ١٤١٤ ه – ١٩٩٣م.
- غريب الحديث لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت،عام ١٤٠٥ه – ١٩٨٥م.
- غريب الحديث للخطابي، دار الفكر – دمشق، عام النشر: ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م.
- الغريبين في القرآن والحديث للهروي، مكتبة نزار بالسعودية، عام ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، دار المعرفة، بيروت، عام ١٣٧٩هـ.
- فقه السيرة لمحمد الغزالي، دار القلم – دمشق، عام ١٤٢٧ هـ.
- فقه السيرة النبوية لمنير الغضبان، نشر جامعة أم القرى، عام ١٤١٣هـ،١٩٩٢م.

- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة للبوطي، دار الفكر – دمشق، عام ١٤٢٦ هـ.
- الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري، دار المعرفة – لبنان.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، دار الفكر، بيروت عام ١٤١٢ هـ.
- المستدرك على الصحيحين للحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٤١١ه – ١٩٩٠م.
- مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- مسند البزار، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، عام (٢٠٠٩م).
- المعالم الأثيرة في السنة والسيرة لمحمد شراب، دار القلم، الدار الشامية – دمشق– بيروت، عام ١٤١١ هـ.
- معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ لعاتق البلادي، دار مكة بمكة المكرمة، عام ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.
- المعجم الأوسط للطبراني، دار الحرمين – القاهرة.
- المعجم الكبير للطبراني، مكتبة العلوم والحكم بالموصل، عام ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣م.
- المغازي للواقدي، دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة: ١٤٠٩ هـ،١٩٨٩م.
- موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، الشيخ/ عطية صقر، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.